د. الهادي الفضلي

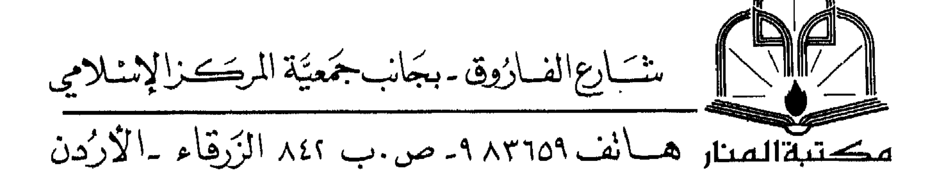
مراكز الدراسات النحوية

مكتبة المنار
الأردن - الزرقاء

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى

١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م



المقدّمة

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى.

وبعد:

فإن هذا الكتيب الذي أضعه بين يدي القارىء الكريم يضم عرضاً تاريخياً مقتضباً، تناولت فيه نشأة النحو ومراكز دراساته التي تعاملت معه تعلماً وتأليفاً، فأسهمت في تركيز مبناه ونشر أفكاره، حيث امتداده في رحلته الطويلة منذ القرن الأول الهجري حتى يوم الناس هذا، ومن ثغر الخليج الأخضر حاضرة البصرة العلمية إلى ما وراء البحار والمحيطات، وهو يعطي الصورة المشرقة عما وصل إليه الفكر العربي والإسلامي من أصالة وعمق وامتداد وشمول.

حددت فيه أمكنة التمركز، وأرخّت أزمنة الانتشار، قدر ما وسعت الطاقة وأسعفت المصادر المتوافرة لدي وحولي.

وقد بلغت عدة العناوين للمراكز ثلاثة وعشرين عنواناً، تقدمها استعراض مصغر لنشأة النحو وتطوره الفكري في دور نشوئه بمركزه الأول، وأعقبها جدولان، أولهما لأمكنة إمتداد النحو، وثانيهما لأزمنة امتداد النحو.

ومن المفيد، بغية بيان مفهوم (المركز) والمقصود منه هنا أن أشير إلى أن دراسة النحو قائمة على النحوين التاليين:

١ ـ قد تكون تخصصاً وغاية كما في حلقات الدرس النحوي التي كانت تعقد من قبل الناحين المتفرغين للدرس النحوي في أروقة مسجد البصرة ومسجد الكوفة أمثال سيبويه والكسائي.

٢ ـ وقد تكون مقدمة ووسيلة لدراسة علوم أخرى كما في حلقات الدرس النحوي التي كانت ـ ولا تزال ـ تعقد لتعليم النحو كمادة من المواد التي يُلْزَم

بدراستها منهجياً قبل التخصص في أحد العلوم النقلية كالفقه والتفسير والحديث.

وعلى هذا الأساس قسم القدماء العلوم من ناحية منهجية إلى علوم آلية وعلوم إستقلالية.

وأرادوا بالعلوم الآلية تلك التي تدرس مقدمة لدراسة غيرها كالنحو يدرس مقدمة لدراسة الفقه، وكالمنطق يدرس مقدمة لدراسة الفلسفة وعلم الكلام.

وقصدوا من العلوم الاستقلالية تلك التي تدرس لذاتها لا لغيرها، أو التي تأتي غاية لا وسيلة كالفقه والتفسير والحديث والفلسفة والتصوف وعلم الكلام.

وقد بقي هذا اللون من التفرقة بين الاتجاهين في دراسة النحو وسيلة أو غاية، تخصصاً أو مقدمة لتخصص آخر ممتداً منذ القديم ومستمراً حتى الآن.

ففي الدراسات المسجدية الراهنة يدرس النحو وسيلة لتعلم العلوم الشرعية، وفي الدراسات الجامعية في كليات ومعاهد وأقسام اللغة العربية يدرس النحو لذاته أي غاية وتخصصاً.

وفي ضوئه: إننا عندما نقول: إن بلدة ما كانت مركزاً من مراكز الدراسات النحوية، نعني بذلك أن النحو يدرس فيها، بغض النظر عن نوعية الاتجاه في تدريسه وسيلة أو غاية.

وأخيراً: إن هذا العرض التاريخي لا يعني بحال من الأحوال الاستقصاء التام أو الإحصاء المستوعب لمراكز الدرس النحوي، لأنه لا يعدو أن يكون ـ فيما وضعت له من خطة ـ محاولة تعريف لامتداد وانتشار الفكر النحوي العربي أمكنة وأزمنة، فإن كنت قد وفقت فيه فذلك فضل الله تعالى وهو المقصود، وإلاّ فلي من ملاحظات المعنيين ما يصحح الخطأ ويكمل النقص، والله ولي التوفيق، وهو الغاية.

عبد الهادي الفضلي

نشأة النحو

يأتي النحو حضارياً في طليعة العلوم العربية الإسلامية، وذلك لأنه يدرس نظام الجملة العربية، فيقدم للذين يتعاملون معه مجموعة القواعد والضوابط التي في ضوئها تعرف كيفية تأليف الكلام العربي ومختلف أحكامه ومعاني عناصره التي تكشف عن مدلوله ومحتوى مفرداته... ولأنه أيضاً من المقاييس والوسائل العلمية التي تتعامل مع نصوص القرآن الكريم والسنَّة الشريفة في إطار الدراسات الإسلامية كالتفسير والقراءات والحديث والفقه.

ومن هنا عندما نرجع إلى محاولة التعرف لانبثاقه ونشوئه كعلم يبحث فيه عن ظواهر الجملة العربية نقف عند عاملين تكاملا فكانا أساس ولادته ونشأته، وهما:

العامل الإجتماعي

والعامل الحضاري

وأعني بالعامل الإجتماعي ـ هنا ـ مقاومة مشكلة نشؤ اللحن على ألسنة بعض أبناء المجتمع في الحاضرة والبادية.

وقد مر هذا العامل بمراحل:

١ ـ تمثلت المرحلة الأولى في الإرهاصات التي سبقت التفكير فيه.

٢ ـ ثم جاءت مرحلة التفكير فيه.

٣ ـ وبعدها مرحلة تنفيذ المقاومة ومعالجة المشكلة القائمة.

وقد ظهرت تلكم الإرهاصات المشار إليها عندما بدأت تظهر على بعض الألسنة بوادر الزيغ والانحراف في التعامل مع الجملة العربية في مجالي النطق والكتابة، تلكم البوادر التي تبلغ حد الظاهرة الإجتماعية اللغوية، ولم ترتفع إلى مستوى المشكلة.

وجاءت هذه الإرهاصات على لسان النبي ﷺ، فمنها ما ذكره أبو الطيب اللغوي بقوله: «واعلم أن أول ما اختل من كلام العرب وأحوج إلى التعلم الإعرابُ، لأن اللحن ظهر في كلام الموالي والمتعربين من عهد النبي ﷺ، فقد روينا أن رجلاً لحن بحضرته، فقال: أرشدوا أخاكم فقد ضل»[1].

وكان اللحن المشار إليه قد بدر في خطبة أحد زعماء الوفود التي جاءت إلى الرسول ﷺ في المدينة.

ومنها ما ورد على لسان النبي ﷺ أيضاً في معرض يشبه ما تقدم، فقد قال ﷺ: «رحم الله أمرءاً أصلح من لسانه»[2].

ومنها كذلك الكلمة المأثورة عن أبي بكر الصديق (رض)، وهي قوله: «لأن أقرأ فأسقط أحبُّ إلي من أن أقرأ فألحن»[3].. ويعني بذلك أنه (رض) يؤثر ألاّ يقرأ الكلمة من الآية على قراءتها ملحونة.

ومن ذلك ما روي من أنه: «مر عمر بن الخطاب (رض) على قوم يسيئون الرمي فقرّعهم، فقالوا: (إنّا قوم متعلمين) فأعرض مغضباً، وقال: (والله لخطؤكم في لسانكم أشدُّ عليَّ من خطئكم في رميكم، سمعت: ان رسول الله ﷺ كان يقول: رحم الله أمرءاً أصلح من لسانه»[4].

وما روي من أن أبا موسى الأشعري كتب إلى عمر ـ عندما كان والياً له على الكوفة ـ كتاباً لحن فيه الكاتب بقوله (من أبو موسى)، فكتب إليه عمر: سلام عليك، أما بعد، فاضرب كاتبك سوطاً واحداً وأخّر عطاءه سنة»[5].

إن هذه وأمثالها تعطينا صورة عن تحسس المسؤولين في المجتمع ببوادر

---

(١) مراتب النحويين ٢٣ والمزهر ٢/٣٩٦.

(٢) المزهر ٢/٣٩٧.

(٣) مراتب النحويين ٢٣ وأخبار النحويين لابن أبي هاشم ٢٥.

(٤) معجم الأدباء ١/٦٧.

(٥) مراتب النحويين ٢٣.

حدوث المشكلة، تلك البوادر التي لم تشكل بعدُ ظاهرة يخشى منها على سلامة اللغة كما أشرت، ومن هنا لم يفكروا في أمرها إلا في حدود التنبيه والإرشاد.

وبعد أن كثرت الفتوح الإسلامية، وكثر الاختلاط والامتزاج بين العرب وغيرهم من الأقوام، وبدأ التعامل مع الجملة العربية نطقاً وفهماً يأخذ مسارات غير طبيعية، تحولت تلكم البوادر في الزيغ اللساني إلى ظاهرة خطرة تهدد سلامة اللغة، يقول محمد بن الحسن الزبيدي (ت ٣٩٤ هـ): «ولم تزل العرب في جاهليتها وصدرٍ من إسلامها تبرع في نطقها بالسجية، وتتكلم على السليقة حتى فتحت المدائن ومصرت الأمصار ودوّنت الدواوين فاختلط العربي بالنبطي والتقى الحجازي بالفارسي ودخل الدين أخلاط الأمم وسواقط البلدان، فوقع الخلل في الكلام، وبدأ اللحن في ألسنة العوام»[١] ...

ويقول أبو العباس المبرد: «وكان الصدر الأول من أصحاب رسول الله ﷺ يعربون طبعاً، حتى خالطهم العجم ففسدت ألسنتهم وتغيرت لغاتهم»[٢].

وقد حدا هذا بالمسؤولين في المجتمع أن يفكروا في وضع حلول للمشكلة القائمة تعالج ذلكم الإنحراف اللساني وتقي من الوقوع في أمثاله.

وكان المسؤول الأول في المجتمع حينذاك الإمام علياً (رض)، لأنه كان الخليفة ورئيس الدولة، فكان من الطبيعي أن يكون هو أول من يفكر في مقاومة هذه المشكلة، وهو من عرف بعلو كعبه في الفصاحة والبلاغة حتى «لم يعلم بعد رسول الله فيمن سلف وخلف أفصح منه في المنطق»[٣]، وهو أيضاً من عرف باهتماماته الفكرية التي ساهم بها مع العلماء من صحابة الرسول ﷺ في وضع اللبنات الأساس للثقافة الإسلامية، فقد «قام بعد وفاة الرسول بجمع القرآن مرتباً على حسب النزول وأشار إلى عامه وخاصه، ومطلقه ومقيده، ومحكمه

(١) لحن العامة ٤٠.

(٢) الفاضل ٤.

(٣) تاريخ الأدب العربي للزيات ١٨٦ ط ٢٦ «بتصرف».

ومتشابهه، وناسخه ومنسوخه، وعزائمه ورخصه، وسننه وآدابه، ونبّه على أسباب النزول في آياته البينات، وأوضح ما عساه يشكل من بعض الجهات، وكان ابن سيرين يقول: (لو أصبت ذلك الكتاب كان فيه من العلم) [1]. وألف الصحيفة في الديات، وقد أوردها ابن سعد - كما يقول شرف الدين - في آخر كتابه المعروف بـ (الجامع) مسندة إلى أمير المؤمنين، ويقول شرف الدين: رأيت البخاري ومسلماً يذكران هذه الصحيفة ويرويان عنها في عدة مواضع من صحيحيهما... والإمام أحمد بن حنبل أكثر من الرواية عن هذه الصحيفة في مسنده » [2].

والإمام هو الذي لم تأخذه أية هوادة في تنفيذ مسؤوليته والخروج من عهدتها...

ولعل من أهم مسؤولياته بصفته الرئيس المسؤول مقاومة هذا الزيغ.

ولأنه آنذاك كان مشغولاً في أمور الحروب الداخلية التي لم تترك له الفراغ الكافي لوضع ما فكّر فيه من حلول وعلاجات لمشكلة اللحن إختار لهذه المهمة تلميذه أبا الأسود الدؤلي (ت ٦٩ هـ)، لأنه « كان رجل أهل البصرة، وكان علوي الرأي » [3]، و « من أكمل الرجال رأياً وأسدهم عقلاً » [4]، « وأعلم الناس بكلام العرب » [5]، و « من سادات التابعين... ثقة في حديثه، روى عن عمر وعلي وابن عباس وأبي ذر وغيرهم » [6].

وهو من أفصح الناس [7] « وكان الناس لزمنه يرونه شيخ العلم وفقيه الناس

---

(١) الصواعق لابن حجر ١٩٧ ط دار الكتب العلمية ببيروت ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.
(٢) المراجعات ٣٢٦ - ٣٢٧ز
(٣) طبقات الشعراء ٥.
(٤) وفيات الأعيان ٢/٢٦.
(٥) المزهر ٢/٣٩٧.
(٦) بغية الوعاة ٢/٢٢.
(٧) أخبار النحويين البصريين ١٤.

وصاحب علي (رض) وخليفة عبد الله بن العباس على البصرة »[1].

ويقول السيرافي: « وكان أبو الأسود ممن صحب علياً (رض) وكان من المتحققين بمحبته ومحبة ولده، وفي ذلك يقول:

يقـول الأرذلـون بنـو قشير ... طـوال الدهـر لا تنسى عليـا
أحـب محمـداً حبـاً شـديـداً ... وعبـاسـاً وحمـزة والوصيـا
فـإن يـك حبهـم رشـداً أحبـه ... ولسـت بمخطـىء إن كـان غيـا

وكان نازلاً في بني قشير بالبصرة، وكانـوا يـرجمونـه بـالليـل لمحبتـه لعلي وولده »[2].

إختار الإمام أبا الأسود لتوافر شخصيته على الصفات المذكورة المؤهلة له للقيام بهذه المهمة الكبيرة، وأمره بذلك وألقى إليه أنموذجاً يسير عليه.

قال السيوطي: « أول من رسم للناس النحو أبو الأسود الدؤلي، وكان أبو الأسود أخذ ذلك عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه »[3].

وقال البغدادي: « وهو (يعني أبا الأسود) واضع علم النحو بتعليم علي رضي الله عنه، وكان من وجوه شيعته، واستعمله على البصرة بعد ابن عباس، وقبل هذا كان استعمله عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضي الله عنهما »[4].

وعلى هذا جل المؤرخين، وبه وردت جل روايات وضع النحو، ومنها:

١ ـ ابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ): « أول من عمل (يعني أبا الأسود) كتاباً في النحو بعد علي بن أبي طالب »[5].

---

(١) المفصل للحلواني ١٠٠ وانظر: الأغاني ٢٠/٣٧٠.
(٢) أخبار النحويين البصريين ١١.
(٣) المزهو ٢/٣٩٧.
(٤) خزانة الأدب ١/١٣٦ ط ١.
(٥) الشعر والشعراء ١٧١ ط القسطنطينية (مصورة عالم الكتب).

٢ ـ المبرد (ت ٢٨٥ هـ): «وذكر أن السبب الذي بني له أبواب النحو وعليه أصلت أصوله أن ابنة أبي الأسود الدئلي قالت: يا أبتِ ما أشدُّ الحر، قال: الحصباء بالرمضاء، قالت: إنما تعجبت من شدته، قال: أو قد لحن الناس، فأخبر بذلك علياً ـ رحمه الله عليه ـ فأعطاه أصولاً بنى منها وعمل بعده عليها»[1].

٣ ـ الزجاجي (ت ٣٣٧ هـ): «قال أبو القاسم الزجاجي في (أماليه): حدثنا أبو جعفر محمد بن رستم الطبري، قال: حدثنا أبو حاتم السجستاني، حدثني يعقوب بن اسحاق الحضرمي، حدثنا سعيد بن سالم الباهلي، حدثنا أبي عن جدي عن أبي الأسود الدؤلي، قال: دخلت على علي بن أبي طالب رضي الله عنه فرأيته مطرقاً متفكراً، فقلت: فيم تفكر يا أمير المؤمنين؟ قال: إني سمعت ببلدكم هذا لحناً فأردت أن أصنع كتاباً في أصول العربية، فقلت: إن فعلت هذا أحييتنا وبقيت فينا هذه اللغة، ثم أتيته بعد ثلاث فألقى إلي صحيفة فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم
الكلام كله: إسم وفعل وحرف.
فالإسم: ما أنبأ عن المسمى.
والفعل: ما أنبأ عن حركة المسمى.
والحرف: ما أنبأ عن معنى ليس باسم ولا فعل.

ثم قال: تتبعه وزد فيه ما وقع لك.. واعلم يا أبا الأسود: أن الأشياء ثلاثة: ظاهر ومضمر وشيء ليس بظاهر ولا مضمر، وإنما تتفاضل العلماء في معرفة ما ليس بظاهر ولا مضمر.

قال أبو الأسود: فجمعت منه أشياء وعرضتها عليه، فكان من ذلك حروف النصب، فذكرت منها إن وأن وليت ولعل وكأن، ولم أذكر لكن، فقال لي: لمَ

(١) الفاضل ٥.

تركتها؟ فقلت: لم أحسبها منها، فقال: بل هي منها فزدها فيها»[1].

ـ الزجاجي: «ويقال: إنه (يعني أبا الأسود) أول من سطر في كتاب: الكلام: إسم وفعل وحرف جاء لمعنى، فسئل عن ذلك، فقال: أخذته من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام»[2].

٤ ـ أبو الطيب اللغوي (ت ٣٥١ هـ): «ثم كان أول من رسم للناس النحو أبو الأسود الدؤلي فيما حدثنا به أبو الفضل جعفر بن محمد بن بابتويه، قال: حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن حميد، قال: أخبرنا أبو حاتم السجستاني، وأخبرنا أبو بكر محمد بن يحيى، قال: حدثنا محمد بن يزيد النحوي، قال: حدثنا أبو عمر الجرمي عن الخليل، قالوا: وكان أبو الأسود أخذ ذلك عن أمير المؤمنين علي عليه السلام، لأنه سمع لحناً فقال لأبي الأسود: إجعل للناس حروفاً، وأشار إليه إلى الرفع والنصب والجر»[3].

٥ ـ أبو الفرج الأصبهاني (ت ٣٥٦ هـ): «وقيل لأبي الأسود الدؤلي: من أين لك هذا العلم؟ فقال: أخذت حدوده عن علي بن أبي طالب»[4].

٦ ـ السيرافي (ت ٣٦٨ هـ): «قال أبو عبيدة معمر بن المثنى: أخذ أبو الأسود عن علي بن أبي طالب عليه السلام العربية»[5].

٧ ـ الزبيدي (ت ٣٧٩ هـ): «سئل أبو الأسود الدؤلي عمن فتح له الطريق إلى وضع النحو وأرشده إليه، فقال: تلقيته من علي بن أبي طالب رحمه الله»[6].

٨ ـ ابو حيان التوحيدي (ت ٣٨٠ هـ): «أن علي بن أبي طالب (ع) سمع

---

(١) الأشباه والنظائر ١/٨.

(٢) الإيضاح ٨٩.

(٣) مراتب النحويين ٢٤ ط ٢.

(٤) الأغاني ١١/٢٩٨.

(٥) أخبار النحويين البصريين ١١.

(٦) طبقات النحويين واللغويين ١٣.

قارئاً يقرأ على غير وجه الصواب، فساءه ذلك، فتقدم إلى أبي الأسود الدؤلي حتى وضع للناس أصلاً ومثالاً وقياساً بعد أن فتق له حاشيته،ومهد له مهاده، وضرب له قواعده»

٩ ـ المزرباني (ت ٣٨٤ هـ): «قال أبو الأسود: دخلت يوماً على علي بن أبي طالب فرأيته مطرقاً يفكر، فقلت: مالي أراك يا أمير المؤمنين مفكراً؟ فقال: قد سمعت من بعض من معي لحناً، وقد هممت أن أصنع كتاباً أجمع فيه كلام العرب، فقلت: إن فعلت ذلك أحييت قوماً وأبقيت العربية في الناس، فألقي إلي صحيفة فيها:

الكلام كله: إسم وفعل وحرف.
فالإسم: ما دل على المسمى.
والفعل: ما دل على الحركة.
والحرف ما جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل.

فاستأذنته في أن أصنع في نحو ما صنع شيئاً أعرضه عليه، فأذن لي، فألفت كلاماً وأتيته به، فزاد فيه ونقص، وكان هذا أصل النحو» .

١٠ ـ ابن النديم (ت ٣٨٥ هـ): «زعم أكثر العلماء أن النحو أخذ عن أبي الأسود الدؤلي، وأن أبا الأسود أخذ ذلك عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام»(٣).

١١ ـ الراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢ هـ): «وهو (يعني أبا الأسود) أول من نقط المصحف وأسس أساس النحو بارشاد علي عليه السلام»(٤).

١٢ ـ الخطيب التبريزي (ت ٥٠٢): «وهو (يعني أبا الأسود) الأصل في

(١) البصائر والذخائر ١/١٧٥.
(٢) نور القبس ٧.
(٣) الفهرست ٥٩.
(٤) أعيان الشيعة ٣٦/٣٤٥ ط ١ نقلاً عن محاضرات الراغب الأصفهاني.

بناء النحو وعقد أصوله برأي من علي رضي الله عنه »[1].

١٣ ـ ابن الأنباري (ت ٥٧٧ هـ): « أن أول من وضع قواعد أصوله (يعني النحو) ونبّه على فروعه وفصوله ذلك الحبر العظيم علي بن أبي طالب »[2].

ـ ابن الأنباري: « إن أول من وضع علم العربية وأسس قواعده، وحد حدوده أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وأخذ عنه أبو الأسود ظالم بن عمرو بن سفيان الدؤلي »[3].

١٤ ـ الفخر الرازي (ت ٦١٦ هـ): « رسم علي ـ رضي الله عنه ـ لأبي الأسود باب إن وباب الإضافة وباب الإمالة، ثم صنف أبو الأسود باب العطف وباب النعت، ثم صنف باب التعجب وباب الإستفهام »[4].

١٥ ـ ياقوت الحموي (ت ٦٢٦ هـ): « قرأت في كتاب (الأمالي) لأبي القاسم الزجاجي، قال: حدثنا أبو جعفر أحمد بن محمد بن رستم الطبري (صاحب أبي عثمان المازني) قال: حدثنا أبو حاتم السجستاني عن يعقوب بن إسحاق الحضرمي، قال: حدثنا سعيد بن مُسلم الباهلي، قال: حدثني أبي عن جدي عن أبي الأسود الدؤلي، أو قال: عن جدي عن ابن أبي الأسود الدؤلي، عن أبيه قال: دخلت على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فرأيته مطرقاً مفكراً، فقلت: فيم تفكر يا أمير المؤمنين؟ قال: إني سمعت ببلدكم هذا لحناً فأردت أن أضع كتاباً في أصول العربية. فقلت: إن فعلت هذا يا أمير المؤمنين أحييتنا وبقيت فينا هذه اللغة، ثم أتيته بعد أيام فألقى إلي صحيفة فيها:

الكلام كله: إسم وفعل وحرف.

---

(١) شرح ديوان الحماسة ٢/١٢٧.

(٢) لمع الأدلة ٩٧.

(٣) نزهة الألباء ٤ تحـ محمد أبو الفضل إبراهيم.

(٤) الاقتراح ٢٠٣ تحـ قاسم.

والاسم ما أنبأ عن المسمى.
والفعل ما أنبأ عن حركة المسمى.
والحرف ما أنبأ عن معنى ليس بإسم ولا فعل.

ثم قال: تتبعه وزد فيه ما وقع لك... وإعلم يا أبا الأسود: أن الأشياء ثلاثة: ظاهر ومضمر وشيء ليس بظاهر ولا مضمر.

قال: فجمعت منه أشياء وعرضتها عليه، وكان من ذلك حروفْ النصب، فكان منها إنّ وأنَ وليت ولعل وكأنّ، ولم أذكر لكنّ، فقال لي: لم تركتها؟ فقلت: لم أحسبها منها، فقال: بل هي منها فزدها فيها.

قال أبو القاسم: قوله عليه السلام: الأشياء ثلاثة: ظاهر ومضمر وشيء ليس بظاهر ولا مضمر): فالظاهر: رجل وفرس وزيد وعمرو وما أشبه ذلك.

والمضمر: نحو أنا وأنت والتاء في فعلتُ والياء في غلامي والكاف في ثوبك وما أشبه ذلك.

وأما الشيء الذي ليس بظاهر ولا مضمر: فالمبهم نحو هذا وهذه وهاتا وتا ومن وما والذي وأي وكم ومتى وأين وما أشبه ذلك»[1].

١٦ ـ القفطي (ت ٦٤٥ هـ): «الجمهور من أهل الرواية على أن أول من وضع النحو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه»[2].

ـ القفطي: «هذا (يعني ما ذكره من رأي الجمهور) هو الأشهر من أمر إبتداء النحو، وقد تعرض الزجاجي أبو القاسم إلى شرح هذا الفصل من كلام علي كرم الله وجهه.

ورأيت بمصر في زمن الطلب بأيدي الوراقين جزءاً فيه أبواب من النحو،

(١) معجم الأدباء ١٤/٤٨ ـ ٤٩.
(٢) إنباه الرواة ١/٤.

يجمعون على أنها مقدمة علي بن أبي طالب التي أخذها عنه أبو الأسود الدؤلي »[1] .

ـ القفطي : « وأهل مصر قاطبة يرون بعد النقل والتصحيح أن أول من وضع النحو علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، وأخذ عنه أبو الأسود الدؤلي »[2] .

١٧ ـ اليافعي : (ت ٧٦٨ هـ) : « ظالم بن عمرو أبو الأسود من سادات التابعين وأعيانهم ، وهو أول من دوّن علم النحو بإرشاد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب »[3] .

١٨ ـ ابن كثير (ت ٧٧٤ هـ) : « قال ابن خلكان وغيره : كان أول من ألقى إليه (يعني أبا الأسود) علم النحو علي بن أبي طالب ، وذكر له : إن الكلام إسم وفعل وحرف ، ثم أن أبا الاسود لحا نحوه ، وفرّع على قوله ، وسلك طريقه ، فسمي هذا العلم النحو لذلك »[4] .

١٩ ـ ابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ) : « وأول من كتب فيها (يعني صناعة النحو) أبو الأسود الدؤلي ، ويقال بإشارة علي ـ رضي الله عنه ـ لأنه رأى تغيّر الملكة فأشار عليه بحفظها ، ففزع إلى ضبطها بالقوانين الحاصرة المستقرأة »[5] .

٢٠ ـ القلقشندي (ت ٨٢١ هـ) : « وقد روي أن أول من نقط القرآن ووضع العربية أبو الأسود الدؤلي من تلقين أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه »[6] .

---

(١) انباه الرواة ١/٦ .

(٢) إنباه الرواة ١/٥ .

(٣) صبح الأعشى ٣/١٥١ .

(٤) مرآة الجنان ١/١٤٤ ، ٢٠٣ .

(٥) البداية والنهاية ٨/٣١٢ م السعاده بمصر .

(٦) مقدمة ابن خلدون ٥٤٦ .

٢١ ـ ابن الجزري (ت ٨٣٣ هـ): « أول من وضع (يعني أبا الأسود) مسائل النحو بإشارة علي رضي الله عنه »[١].

٢٢ ـ ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ): « قال أبو علي القالي: حدثنا أبو إسحاق الزجاج، حدثنا أبو العباس المبرد، قال: أول من وضع العربية ونقط المصاحف أبو الأسود، وقد سئل أبو الأسود عمن نهج له الطريق، فقال: تلقيت من علي بن أبي طالب »[٢].

٢٣ ـ السيوطي (ت ٩١١ هـ): « إشتهر أن أول من وضع النحو علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ لأبي الأسود، قال الفخر الرازي في كتابه (المحرر في النحو): رسم علي ـ رضي الله عنه ـ لأبي الأسود باب ان وباب الإضافة وباب الإمالة، ثم صنف أبو الأسود باب العطف وباب المنعوت، ثم صنف باب التعجب وباب الإستفهام.

وتطابقت الروايات على أن أول من وضع النحو أبو الأسود وأنه أخذه أولاً عن علي »[٣].

ـ السيوطي: « أول من رسم للناس النحو أبو الأسود الدؤلي، وكان أبو الأسود أخذ ذلك عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه »[٤].

٢٤ ـ البغدادي (ت ١٠٩٣ هـ): « وهو (يعني أبا الأسود) واضع علم النحو بتعليم علي ـ رضي الله عنه ـ، وكان من وجوه شيعته، وإستعمله على البصرة بعد إبن عباس، وقبل هذا كان إستعمله عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضي الله عنهما »[٥].

---

(١) غاية النهاية ٣٤٦/١.
(٢) الإصابة ٣٠٤.
(٣) الاقتراح ٢٠٣.
(٤) المزهر ٣٩٧/٢.
(٥) خزانة الأدب ١٣٦/١.

٢٥ ـ الطنطاوي (ت ١٢٧٨ هـ): « والصحيح أن أول من وضع النحو علي بن أبي طالب رضي الله عنه، لأن الروايات كلها تسند إلى أبي الأسود، وأبو الأسود يسند إلى علي، فإنه روي عن أبي الأسود أنه سئل فقيل له: من أين لك هذا النحو؟ فقال: تلقيت حدوده من علي بن أبي طالب.

ولا ريب أن الاختلاف في المختار من القولين بين الجماعة والأنباري مرجعه إلى الحدس والتخمين، فليس مع أحد المختارين ما يرجحه على الآخر، لا من العقل ولا من النقل المتواتر، فما هي الآّ روايات يناهض بعضها بعضاً.. غير أن الظنون متفاوتة عند الموازنة بين المتكافئين، ويظهر أن الحق في جانب الجماعة فإن وضع النحو أمر خطير يتقاضى من القائم به عناية مبذولة إليه خاصة، وصدوفاً عن مشاغل الحياة عامة، ووقتاً طويلاً يستنزف في التقصي للكلام العربي وأعمال الفكر واستخراج القواعد في حياة كلها هدوء واستقرار يرفرف عليها جناح الأمن والسلام، وحياة الإمام علي ـ كرم الله وجهه ـ تقضت في النضال العنيف، والشجار المستحر، ملأتها الحوادث المروعة، واكتنفتها أمواج الإضطرابات الشاملة، فبعيد أن الإمام يواتيه الوقت الكافي للنهوض بأعباء هذا العمل الجلل، على أنا لا نأبى أن له اليد الطولى على أبي الأسود في الإرشاد له، والإشراف عليه، وتقريره لما صح في استنتاجه، فللإمام فضل الهداية إلى الأساس، ولأبي الأسود فضل القيام بوضعه على ضوء هدي الإمام »[1].

إلى جانب هذه الكثرة من الروايات، هناك روايات أقل منها نسبت وضع النحو إلى أبي الأسود أيضاً إلاّ أنها لم تشر إلى دور الإمام علي في وضعه تأسيساً أو توجيهاً أو مشاركة.

وأقل من هذه الأخيرة بكثير روايات نسبت وضع النحو إلى نصر بن عاصم...

وأخرى مثلها في القلة نسبته إلى عبد الرحمن بن هرمز.

---

(١) نشأة النحو ٢٦ ـ ٢٧ ط ٥.

ومن هنا تكون الروايات الأولى أولى بالاعتماد عليها وذلك لوفرتها وشهرتها وتعدد مصادرها وإعتبار تلكم المصادر، ولاختلاف رواتها ووثاقتهم.

وقد اعتمدها من المعاصرين غير واحد، منهم:

١ - أستاذنا المرحوم الأستاذ كمال إبراهيم، قال: «وتكاد أكثر الروايات تذكر هذه النسبة إلى أبي الأسود، وهي الأشهر والأرجح... وأكثر من جاء من الرواة الذين رووا ذلك ممن عاش في القرن الثاني والثالث والرابع الهجري، ومن تبعهم لم يخرجوا عن الروايات السالفة كالحافظ ابن حجر والقفطي والسيوطي وصاحب كشف الظنون وغيرهم.

تبين لنا من هذه النصوص أن نسبة النحو على الأرجح إنما هي لأبي الأسود الدؤلي».

وبعد أن يذكر أمثلة من اللحن الذي سمعه أبو الأسود، يقول: «سمع أبو الأسود من أمثال هذا كثيراً حتى لم يكد أحد يسلم من الوقوع فيه، ففكر في وضع ضوابط للسان تقيه اللحن والخلل فقصه إلى الإمام علي فقال له: يا أمير المؤمنين قد علمت ما وقع لألسنة العرب بمخالطة هذه الحمراء - يريد بهم الأعاجم -، فهل لنا أن نصنع شيئاً يحفظ ألسنتهم من ذلك؟، فأخرج الإمام علي رقعة من تحت بساطه، إذ قد كان فكر بذلك قبل هذا، وفيها شيء من هذه الضوابط، فقال له: إقرأها، فقرأها أبو الأسود، وفيها تقسيم الكلمة وتقسيم الإسم والفعل وذكر بعض الحروف، وقال لأبي الأسود: انح هذا النحو... الخ»[1].

٢ - الأستاذ مصطفى السقا، قال: «وتسند الروايات إلى أبي الأسود الدؤلي ظالم بن عمرو بن سفيان الكناني ثم الليثي المتوفى سنة ٦٩ هـ من أصحاب أمير

(١) مدرسة البصرة النحوية (محاضرات املاها على طلبة ماجستير اللغة العربية بجامعة بغداد) في العام الدراسي ٦٦ - ١٩٦٧ م «مخطوطتي الخاصة».

المؤمنين علي بن أبي طالب أنه أول من تنبه إلى هذا الخطر (اللحن)، وأنه أول من فكر في درئه عن لغة العرب وعن القرآن جميعاً، ونقل الرواة أنه شاور في ذلك الإمام علياً، فألقى إليه الإمام أبواباً في النحو، وقال له: انح هذا النحو »[1].

٣ ـ المرحوم الأستاذ علي النجدي ناصف، قال: « نعم. فعندي أن واضع النحو هو أبو الأسود الدؤلي، والموجه إليه هو الإمام علي رضي الله عنه، وليس المقام لتفصيل ذلك وبسط الاحتجاج له.

وحسبنا أن نقول هنا: إن الأكثرين على ذلك، وأن يقول صاحب الفهرست: (رأيت في إحدى الخزائن بمدينة الحديثة ما يدل على أن النحو عن أبي الأسود ما هذه حكايته، وهي أربع أوراق أحسبها من ورق الصين، ترجمتها: هذه فيها كلام في الفاعل والمفعول من أبي الأسود رحمه الله عليه، بخط يحي بن يعمر، وتحت الخط بخط عتيق: هذا خط علان النحوي، وتحته: هذا خط النضر بن شميل).

فهذه شهادة عيان من رجل نثق به، ونعتمد عليه في معرفة الكثير من تراثنا الفكري في القرون الأولى.

وتظاهرها مع ذلك الأنباء المستفيضة والروايات المتعددة المصادر والطرق، وليس باليسير ولا الهين أن نردها ونعرض عن الأخذ بها لمجرد التظنن والتشكك هياماً بالمخالفة واستطراف الآراء »[2].

٤ ـ الدكتور عبد الحميد السيد طلب، قال: « تكاد تتفق النقول الواردة في كتب الطبقات وأخبار التاريخ وما وصلنا من النحاة المتقدمين علماً أن أبا الأسود الدؤلي المتوفى سنة (٦٧ هـ) هو أول من فكر في وضع علم النحو العربي، وأنه

(١) من مقال له بعنوان (نشأة النحو العربي) منشور في مجلة جامعة الملك سعود ـ العدد الأول ص ٦٧.

(٢) سيبويه إمام النحاة ١٣٧ ـ ١٣٨ ط ٢.

قد استلهم الفكرة الأولى من الإمام علي كرم الله وجهه، أو عمل بمشورته في هذا المضمار »[1] .

٥ ـ الدكتور فخر الدين قباوة، قال: « لا غرو في هذا (يعني نسبة وضع الصرف إلى الإمام علي) لأنه ثمة إجماعاً لدى المتقدمين على أن واضع علم العربية هو أبو الأسود الدؤلي، وأنه أخذه عن الإمام علي »[2] .

٦ ـ الدكتور عبد العال سالم مكرم، قال: « الحق الذي يقال: إن أبا الأسود حلقة في سلسلة المعرفة اللغوية، ولا يمكن لأبي الأسود أن يحصل على هذه المعرفة اللغوية ـ التي سنذكر طرفاً منها فيما بعد ـ بدون أن يتعلمها من غيره، ولكنه برز في مجالها، وزاد نشاطه في حقلها، فنسبت إليه نشأة أضخم علم شغل الناس قروناً طويلة وما زال يشغلهم إلى وقتنا الحاضر .

أما الأسباب التي جعلت مولد النحو على يده فترجع إلى ما يأتي:

١ ـ إتصاله بعلي كرم الله وجهه.

وقد تميز علي بأنه تربّى في بيت النبوة، وشرب من معينها، وارتوى من موردها، مما جعله مضرب المثل في العلم والمعرفة، وأخباره في هذا الباب عديدة، وحينما يذكر الرواة أن أبا الأسود دخل على علي وفي يده رقعة، فيسأله عنها، فيجيبه كرم الله وجهه بقوله: إني تأملت كلام العرب فوجدته قد فسر بمخالطة هذه الحمراء ـ يعني الأعاجم ـ فأردت أن أضع شيئاً يرجعون إليه ويعتمدون عليه، ثم يلقي الرقعة إلى أبي الأسود وفيها مكتوب:

الكلام كله: إسم وفعل وحرف.
فالاسم: ما أنبأ عن المسمى.
والفعل: ما أنبىء به.

---

(١) تاريخ النحو وأصوله ٢٦/١.

(٢) ابن عصفور والتقريب ١٥.

والحرف: ما أفاد معنى.

يقول أبو الأسود: وقال لي: انح هذا النحو، وأضف إليه ما وقع إليك.

أقول: حينما يذكر الرواة ذلك فإنما يشيرون إلى حقيقة مؤادها: أنه ليس من الغرابة أن يكون علي على هذا المستوى من التفكير، لأن مكانته الفكرية لا ينكرها التاريخ، فقد روي عن النبي - عليه الصلاة والسلام - قوله: (أنا مدينة العلم وعلي بابها، فمن أراد العلم فليأته من بابه)[1] وقال عنه النبي: (اللهم أهد قلبه وسدد لسانه)[2].

وإيمان علي بعقلية أبي الأسود هو الذي أوحى إليه بهذه العبارة: «وأضف إليه ما وقع إليك»[3].

وانطلق أبو الأسود مجداً في تحقيق ما أمره به الإمام، وكانت طريقته في تدوين الضوابط النحوية «أنه كلما سمع لحناً على ألسنة الناس وضع له تصحيحاً، وقرن هذا التصحيح بشواهد من فصيح الكلام، إمّا من القرآن أو الحديث أو كلام العرب، ولذلك فإن القواعد الأولى التي وضعت كانت مسايرة للحاجة حينذاك ومتماشية مع هذه الأغلاط التي كانت تظهر على الألسن»[4].

وجاء في تاريخ النحو أن أبا الأسود دوّن شيئاً من هذه الضوابط في صحيفة خاصة، ذكر ابن النديم في (الفهرست) أنه رآها في مدينة (الحديثة) قال: «كان بمدينة الحديثة رجل يقال له (محمد بن الحسين) ويعرف بـ (ابن أبي بعرة) جمّاعة للكتب، له خزانة لم أر لأحد مثلها كثرة، تحتوي على قطعة من الكتب العربية في النحو واللغة والأدب والكتب القديمة.

---

(١) نقلاً عن الإستيعاب في معرفة الأصحاب ١١/٢.

(٢) نقلاً عن المرجع نفسه ١١/٢.

(٣) الحلقة المفقودة في تاريخ النحو العربي ١٦ - ١٧.

(٤) من محاضرات لاستاذنا الأستاذ كمال إبراهيم عن (مدرسة البصرة النحوية) ألقاها على طلبة ماجستير اللغة العربية بجامعة بغداد لعام ١٩٦٦ - ١٩٦٧ م.

فلقيت هذا الرجل دفعات فأنس بي، وكان نفوراً ضنيناً بما عنده، خائفاً من بني حمدان، فأخرج لي قمطراً[1] كبيراً، فيه نحو ثلاثمائة رطل جلود فلجان[2] وصكاك[3] وقرطاس مصري[4] وورق صيني[5] وورق تهامي، وجلود أدم[6]، وورق خراساني[7]، فيها تعليقات عن العرب، وقصائد مفردات من أشعارهم، وشيء من النحو، والحكايات والأخبار والأسماء والأنساب، وغير ذلك من علوم العرب وغيرهم.

وذكر أن رجلاً من أهل الكوفة ـ ذهب عني اسمه ـ كان مستهتراً[8] بجمع الخطوط القديمة، وأنه لما حضرته الوفاة خصه بذلك لصداقةٍ كانت بينهما، وافضالِ محمد بن الحسين عليه، ومجانسةِ المذهب ـ فإنه كان شيعياً ـ فرأيتها، وقابلتها، فرأيت عجباً، إلاّ أن الزمان قد أخلقها وعمل فيها عملاً أدرسها[9] وأحرفها[10].

وكان على [كل] جزء أو ورقة أو مدرج توقيع بخطوط العلماء واحداً إثر واحد، يذكر فيه خط من هو، وتحت كل توقيع، توقيع آخر، خمسة وستة، من شهادات العلماء على خطوط بعض لبعض.

ورأيت عنده أمانات وعهوداً بخط أمير المؤمنين علي ـ عليه السلام ـ وبخط غيره من كتّاب النبي ﷺ، ومن خطوط العلماء في النحو واللغة، مثل: أبي عمرو

---

(١) القمَطْر: بكسر أوله وفتح ثانيه وإسكان ثالثه، وعاء تصان فيه الكتب.

(٢) جلود الفلجان: هي جلود الحمير الوحشية.

(٣) الصكاك: جمع صك وهو كتاب الاقرار بالمال أو غيره.

(٤) ويعمل من قصب البردي.

(٥) ويعمل من الحشيش.

(٦) الجلد الأدم: هو الجلد الأحمر المدبوغ، وجمعه: آدمة.

(٧) ويعمل من الكتان.

(٨) مستهتر: مولع، ذو هواية.

(٩) أدرسها: عفّاها.

(١٠) أحرفها: غيّرها، من التحريف بمعنى التغيير.

بن العلاء وأبي عمرو الشيباني والأصمعي وإبن الإعرابي وسيبويه والفراء والكسائي، ومن خطوط أصحاب الحديث مثل: سفيان بن عيينة وسفيان الثوري والأوزاعي وغيرهم.

ورأيت ما يدل على أن النحو عن أبي الأسود ما هذه حكايته ـ وهي أربع أوراق، أحسبها من ورق الصين ـ ترجمتها: هذه فيها كلام في الفاعل والمفعول عن أبي الأسود ـ رحمة الله عليه ـ، بخط يحيى بن يعمر، وتحت هذا الخط ـ بخط عتيق ـ هذا خط علان النحوي وتحته: هذا خط النضر بن شميل.

ثم لما مات الرجل فقدنا القِمَطْرَ وما كان فيه، فما سمعنا له خبراً »[1].

وقد يجدر أن أشير هنا إلى أن ما وضعه أبو الأسود من ضوابط ران عليه تاريخياً شيء من الغموض، لأن (تعليقته) أو (الصحيفة) التي ألمح إليها المؤرخون لم تصل إلينا، ولأن ما ذكره المؤرخون عن محتوياتها لا يخرج عن كونه إشارات إلى بعض الأبواب النحوية بأسمائها وعناوينها، دونما تعريف أو ذكر لما تشتمل عليه تلكم العناوين من مواد نحوية.

أما العامل الحضاري، فأعني به تلك النقلة الفكرية التي أحدثها الدين الإسلامي في حياة العرب حيث نقلهم من الطور البدائي المتسم بالجمود الفكري إلى الطور الحضاري الحافز على الانطلاق الفكري فدفعهم يفكرون فيما أمدهم به من ثقافة القرآن والسنة تفكيراً أوصلهم إلى إنشاء ما عرف فيما بعد بالعلوم العربية والإسلامية.

وكان في طليعة هذه العلوم نشوءاً هو علم تفسير القرآن الكريم الذي يعني الكشف عن معنى النص القرآني، وعلم القراءات التي هي ضوابط للنص القرآني نطقاً ورسماً أو تلفظاً وكتابة.

ومعنى هذا أن التفكير الإسلامي في وضع العلوم بدأ بالتعامل مع نص

---

(١) الفهرست ٦٠ ـ ٦١.

القرآن الكريم، فكان هذا هو العامل الآخر في وضع المقاييس والوسائل التي في ضوئها يمكن معرفة مداليل النصوص القرآنية ومحتوياتها، وهي بطبيعتها تراكيب كلامية عربية يضمها إطار نظام الجملة العربية.

ومن هنا رأينا في فترة انبثاق النحو ونشوئه على أساس من العامل الإجتماعي مسائل علمية تعرض لبعض الظواهر اللغوية بعامة، ورأينا في الفترة ذاتها على أساس من العامل الحضاري مسائل أخرى ينصب بحثها على نصوص قرآنية فقط.

ومن هذا:

١ ـ ما جاء في (العقد الفريد ٢/٤٨٥): «وقال أبو الأسود الدؤلي: من العرب من يقول: (لولاي لكان كذا وكذا)، وقال الشاعر[١]:

وكم موطن لولاي طحت كما هوى
بأجرامه من قنة النيق منهوي

وكذلك (لولا أنتم) و(لولاكم) إبتداء وخبره محذوف».

٢ ـ وما جاء في (أخبار النحويين البصريين ١٥): «روى محبوب البكري عن خالد الحذاء: قال: سألت نصر بن عاصم ـ وهو أول من وضع العربية ـ كيف تقرؤها؟ قال: (قل هو الله أحدٌ. الله الصمدُ) لم ينوّن.

قال: فأخبرته أن عروة ينوّن، فقال: بئسما قال وهو للبئس أهل، فأخبرت عبد الله بن أبي إسحاق بقول نصر بن عاصم، فما زال يقرأ بها حتى مات».

٣ ـ وما في (أخبار النحويين البصريين ١٧): «أن الحجاج بن يوسف قال ليحيى بن يعمر: أتجدني ألحن؟

قال: الأمير أفصح من ذلك.

قال: عزمت عليك لتخبرني ـ وكانوا يعظمون عزائم الامراء...

فقال يحيى بن يعمر: نعم. في كتاب الله.

---

(١) هو يزيد بن الحكم الثقفي.

قال: قرأت: (قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموالٌ إقترفتموها وتجارةٌ تخشون كسادها ومساكنُ ترضونها أحبَّ إليكم من الله ورسوله) [1] فترفع (أحب) وهو منصوب.

قال: إذن لا تسمعني ألحن بعدها، فنفاه إلى خراسان».

والذي يلحظ ويلاحظ في هذه المسائل وأمثالها:

١ ـ إنها لم تثر أو يبحث موضوعها على أساس من منهج علمي أو تخطيط مدروس.

٢ ـ إنها لم تخلص في بحثها للنحو وحده، وإنما كانت تشرك بينه وبين غيره من ألوان الثقافة التي وصل إليها جيل هؤلاء الرواد.

البصرة

وقد تصدى أبو الأسود بعد ذلك لتعليم النحو بأولياته التي تَوصَّل إليها.. وكانت حلقته أولى حلقات الدرس النحوي، وكانت تعقد بالمسجد الجامع بالبصرة.

وبهذا البدء في تدريس النحو كانت البصرة أول مركز من مراكز الدراسات النحوية.

وتخرج بأبي الأسود جماعة من أشهرهم عنبسة بن معدان الميساني المعروف بعنبسة الفيل، والذي جلس هو الآخر لتعليم النحو، وكان من أشهر تلامذته ميمون الأقرن.

جاء في (نزهة الألباء) [2]: «روي عن أبي عبيدة بن المثنى أنه قال: اختلف الناس إلى أبي الأسود الدؤلي يتعلمون منه العربية، فكان أبرع أصحابه عنبسة بن

---

(١) التوبة: ٢٤.

(٢) ص ٨.

معدان المهري، وأختلف الناس إلى عنبسة، فكان أبرع أصحابه ميمون الأقرن».

وكان لميمون الأقرن دور في تنمية الدرس النحوي حيث زاد على ما انتهى إليه أبو الأسود، كما ذكر ذلك ياقوت الحموي في (معجم الأدباء)[1] بقوله: «ثم جاء بعده (يعني أبا الأسود) ميمون الأقرن فزاد عليه في حدود العربية».

وكما ذكر السيوطي في (المزهر)[2] فيما رواه عن الخليل من أن «ميموناً الأقرن أخذ عن عنبسة بعد أبي الأسود، فرأسَ الناس بعد عنبسة وزاد في الشرح».

وممن اختلفوا على أبي الأسود وأخذوا عنه نصر بن عاصم الليثي (ت ٨٩ هـ) ويحيى بن يعمر العدواني (ت ١٢٩ هـ)، وكان دورهما في تطوير النحو ممثلاً بما ذكره كل من السيوطي والقفطي.

ذكر السيوطي في (البغية)[3]: أن لنصر بن عاصم كتاباً في العربية،.. وهو من الكتب التي لم يقدر لها أن ترى من قبل الأجيال المتعاقبة بعد جيل المؤلف.

وذكر القفطي في (أنباه الرواة)[4]: أن يحيى بن يعمر اتفق مع عطاء بن أبي الأسود، بعد موت أبيه ـ وكان هو الآخر من تلاميذ أبيه في العربية ـ «على بسط النحو، وتعيين أبوابه، وبعج مقاييسه... ولما استوفيا جزءاً متوفراً من أبواب النحو نسب بعض الرواة إليهما أنهما أول من وضع هذا النوع».

مضافاً إلى ما أسهما فيه من المسائل النحوية المتفرقة التي كانت تبحث ضمن إطار القراءات القرآنية.

---

(١) ٢١٩/١٩.
(٢) ٣٩٨/٢.
(٣) ٣١٣/٢.
(٤) ٣٨٠/٢.

والتطور الذي انتهى إليه النحو في عهد يحي ونصر تمثل في :

١ ـ استقرار بعض المصطلحات النحوية أمثال: الرفع والنصب والجر والتنوين والإعراب.

٢ ـ إضافة بعض الأبواب النحوية.

٣ ـ دفع النحو في مجال إثارة المسائل العلمية التي تدور بين العلماء إلى مشاركة أكثر وأوسع.

٤ ـ مواصلة التأليف في النحو.

وبعد يحي ونصر جاء دور تلميذيهما عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي (ت ١٢٧ هـ) وأبي عمرو بن العلاء المازني (ت ١٥٤ هـ).

فقد كان لكل منهما مشاركة في المسائل العلمية التي كانت تثار في مجالس العلماء ومنتدياتهم.

كما كان لكل منهما حلقة لتدريس النحو في المسجد الجامع بالبصرة...

وقد عرفت حلقة أبي عمرو بأنها من الحلقات الدراسية المهمة مادة وطلاباً، جاء في (غاية النهاية)[١]: « مر الحسن بأبي عمرو وحلقته متوافرة والناس عكوف، فقال: من هذا؟

قالوا: أبو عمرو.

فقال: لا إله إلاّ الله، كادت العلماء تكون أرباباً، كل عز لم يؤكد بعلم فإلى ذل يؤول».

وجاء في (إنباه الرواة)[٢]: «وكان إبن سيرين يبغض النحويين، وكان يقول: لقد بغض إلينا هؤلاء المسجد، وكانت حلقته إلى جانب حلقة ابن أبي إسحاق».

---

(١) ٢٩٢/١.

(٢) ١٠٦/٢.

وفي المصدر نفسه[1]: « كان لابن أبي إسحاق مجلس يفسر فيه غامض الشعر، فكان ابن سيرين يقول ـ وكأنه يغمزه ـ: ما علمه بإرادة الشاعر ؟!. فيجيب ابن أبي إسحاق: أن الفتوى في الشعر لا تحل حراماً ولا تحرم حلالاً، وإنما نفتي فيما استتر من معاني الشعر، وأشكل من غريبه وإعرابه بفتوى سمعناها من غيرنا أو اجتهدنا فيها آراءنا ».

ومن المسائل التي شارك فيها مضافاً إلى ما تقدم:

١ ـ ما روي من تخطئة ابن أبي إسحاق للفرزدق في قوله:

وعضُّ زمانٍ يا ابن مروان لم يدع
من المال إلا مسحتاً أو مجلَّفُ

جاء في (خزانة الأدب)[2]: « وقال الفراء في تفسيره: حدثني أبو جعفر الرؤاسي عن أبي عمرو بن العلاء، قال: مر الفرزدق بعبد الله بن أبي إسحاق النحوي فأنشده هذه القصيدة:

عزفتَ بأعشاش وما كدتَ تعزفُ ....

حتى انتهى إلى هذا البيت (المذكور)، فقال عبد الله: علامَ رفعت (مجلفاً) ؟

فقال له الفرزدق: على ما يسؤوك ».

وجاء في المصدر نفسه: « قال أبو بكر محمد بن عبد الملك التاريخي في تاريخ النحاة في ترجمة عبد الله بن أبي إسحاق النحوي الحضرمي: قال ابن سلام: وحدثنا يوسف قال: قال ابن أبي إسحاق في بيت الفرزدق (الاّ مسحتاً أو مجلّف)، قال: للرفع وجه، وكان أبو عمرو ويونس لا يعرفان للرفع وجهاً.. قلت ليونس: لعل الفرزدق قالها على النصب ولم يأبه للقافية، قال: لا، كان ينشدها على الرفع، وأنشدنيها رؤبة على الرفع ».

---

(١) ١٠٧/٢.

(٢) ٣٤٧/٢.

٢ ـ ما روي أيضاً من تخطئة ابن أبي إسحاق للفرزدق في بيته:

مستقبليـــن شمـــال الشـــام تضربنـــا
علـى زواحـــف مخهـــا ديـــرِ

قال في (الخزانة)[١]: «والذي رأيته في تاريخ النحاة للتاريخي ـ المذكور أنفاً ـ قال: حدثني إبن الفهم عن محمد بن سلام، قال: أخبرنا يونس: أن أبن أبي إسحاق قال للفرزدق في مديحه يزيد بن عبد الملك بن مروان:

مستقبلين شمال الشـــام تضربنـــا على زواحـــف مخهـــا ديـــرِ

فقال له ابن أبي إسحاق: أسأت، موضعها رفع، وإن رفعت أقويت.
وألح الناس على الفرزدق في ذلك فقبلها، فقال:

على زواحـف تزجيـها محـاسيـرُ

٣ ـ «روى أبو عمرو بن العلاء، قال: كنا عند بلال بن أبي بردة فأنشد الفرزذق:

تـريـك نجومَ الليـل والشمس حيـة زحـامُ بنـاء الحارث بـن عبّـادِ

فقال عنبسة بن معدان: (الزحام) مذكر.
فقال الفرزدق: أغرب.
قال عبد الله (بن أبي إسحاق): و(الزحام له وجهان: ـ

أن يكوم مصدراً مثل (الطعان) و(القتال) من قولهم: (زاحمته زحاماً)، فهذا مذكر كما قال عنبسة.

أو يكون جمعاً للزحمة، يراد بها الجماعة المزدحمة،فهذا مؤنث؛لأن الزحام هو المزاحمة، كما أن الطعان هو المطاعنة.

(١) ١١٥/١.

وقول عنبسة أقوى وأعرف في الكلام »[1].

وكان أبو عمرو مرجع الناس في عصره[2] لأنه كان « أعلم الناس بالقراءات والعربية وأيام العرب والشعر، وكانت دفاتره ملء بيته للسقف »[3]، ولأنه ـ كما يقول اليزيدي ـ « أقام بين البدو أربعين سنة »[4].

ومن هنا استطاع أن يعطي علم النحو النقلة الفكرية التي تطور إليها على يديه، والتي تتلخص في وضعه مبدأ القياس النحوي، ذلكم المبدأ الذي يعتمد في وضع القاعدة النحوية على الإستعمال الغالب، واعتداد ما عداه لهجات، والذي عرف فيما بعدُ بـ (القياس البصري).

ويلخص لنا أبو عمرو مبدأ القياس فيما رواه عنه عبد الملك بن نوفل المدني، قال: « سمعت أبي يقول لأبي عمرو بن العلاء: أخبرني عما وضعتَ مما سميته (عربية)، أيدخل فيه كلام العرب كله؟

قال: لا.

فقال: كيف تصنع فيما خالفتك فيه العرب وهم حجة؟

قال: أعمل على الأكثر، وأسمي ما خالفني لغات »[5].

والذي يظهر تاريخياً أن أبا عمرو كان قد ألف كتباً وخلّفها، غير أنها لم تصل إلينا، فقد حكي عن ثعلب أنه كان يروي كتب أبي عمرو عن ابنه عمرو[6].

وأما عبد الله بن أبي إسحاق فقد كان « أعلم أهل البصرة وأعقلهم، فرّع

---

(١) الموشح ١٦٥ ـ ١٦٦.

(٢) من تاريخ النحو ٣٦.

(٣) بغية الوعاة ٢/٢٣١.

(٤) مجالس العلماء للزجاجي ١٧١.

(٥) طبقات النحويين ٣٩.

(٦) المزهر ٢/٤١٢.

النحو وقاسه، وتكلم في الهمز حتى عُمِلَ فيه كتاب مما أملاه» كما يقول أبو الطيب [١].

وقال فيه القفطي [٢]: «قال أبو خليفة: قال ابن سلام: أول من بعج النحو ومدّ القياس، وشرح العلل عبد الله بن أبي إسحاق».

ومن هذين النصين نستطيع أن ندرك أن دور ابن أبي إسحاق يتمثل في التالي:

١ ـ تعاضده مع زميله ومعاصره أبي عمرو بن العلاء في مدّه القياس الذي وضع أساسه أبو عمرو.

٢ ـ فتحه باب التفريع في النحو.

٣ ـ بدءه بشرح العلل.

ويعني هذا أن النحو أخذ على يدي هذين العالمين مساره إلى وجوده المستقل، وطريقه إلى بداية الدراسة القائمة على شيء من التخطيط والمنهجية.

وقد أشار إلى تعاضدهما في إنماء النحو وإثرائه، القفطي بقوله: «وكان معه (يعني ابن أبي إسحاق) أبو عمرو بن العلاء، وكان ابن أبي إسحاق أشد قياساً، وأبو عمرو أوسع علماً بكلام العرب ولغتها وغريبها» [٣].

وكذلك روى محمد بن سلاّم الجمحي في طبقاته [٤] عن يونس بن حبيب: أن أبا عمرو بن العلاء كان أشد تسليماً للعرب، وكان ابن أبي إسحاق وعيسى بن عمر يطعنان عليهم».

وهذان النصان يوقفاننا على ما انتهى إليه كل واحد من هذين العالمين في أمر

---

(١) مراتب النحويين ٢٣.

(٢) الإنباه ١٠٥/٢.

(٣) م. ن.

(٤) ص ٧.

القياس، حيث اتفقا في أن القياس هو الاستعمال الأكثر عند العرب، واختلفا في الاستعمال الأقل فاعتبره أبو عمرو بن العلاء لهجات، وذهب ابن أبي إسحاق إلى أنه غلط، وقد رأينا ذلك ـ فيما تقدم ـ من تخطئته للفرزدق.

وقد عبّر يونس عن مذهب أبي عمرو بن العلاء فيما اختلفا فيه بقوله: (وكان أبو عمرو بن العلاء أشد تسليماً للعرب).

وعبّر القفطي عن مذهب ابن أبي إسحاق بقوله: (وكان ابن أبي إسحاق أشد قياساً).

ومن تطبيقات القياس عند ابن أبي إسحاق ما ذكره الزبيدي في طبقاته[1] عن ابن سلام أنه قال ليونس: « هل سمعت من ابن أبي إسحاق شيئاً؟

قال: نعم، قلت له: هل يقول أحد (الصويق) يعني (السويق)؟

قال: نعم: عمرو بن تميم تقولها، وما تريد إلى هذا، عليك بباب من النحو يطرد وينقاس».

وكان بعدهما دور عيسى بن عمر الثقفي (ت ١٤٩ هـ) ـ تلميذ أبي عمرو بن العلاء ـ الذي سار على منوالهما، وبنى على ما أسسا من مبدأ عام في وضع القواعد النحوية، واستنباطها من استعمالات العرب، ذلكم المبدأ الذي عرف بالقياس كما أشرت.

فقد جاء في إنباه الرواة[2]: « ان عيسى بن عمر وضع كتابه على الأكثر، وبوبه وهذبه، وسمّى ما شذ عن الأكثر لغات».

ونحن إذا حاولنا الجمع بين هذا النص التاريخي ونص ابن سلام عن يونس النحوي الذي يقول فيه: (وكان ابن أبي إسحاق وعيسى بن عمر يطعنان

---

(١) ٢٦.

(٢) ٣٧٥/٢.

عليهم) ـ أي على العرب ـ، لعله ليس لنا إلاّ أن نقول بأن عيسى بن عمر في فترة حياته النحوية الأولى كان متأثراً بمذهب ابن أبي إسحاق في التشدد بالقياس واعتبار ما عداه غلطاً، ثم انتقل في الفترة الثانية من حياته النحوية والتي تمثلت في كتابه المشار إليه إلى مذهب أبي عمرو بن العلاء.

ومما نقل عنه من الطعن على العرب مأخذه على النابغة الذبياني في بيته:

فبــــتّ كــــأني ســــاورتني ضئيلــــة
مــن الرقــش في أنيــابها الســـمّ نــاقــعُ

فقد كان عيسى يقول: أساء النابغة في قوله (ناقعُ) ـ بالرفع ـ وموضعه (ناقعاً) ـ بالنصب ـ[1].

ويبرز دور الثقفي في الآتي:

١ ـ فتحه باب الاختيار في القراءات وفق القواعد النحوية،... جاء في (وفيات الأعيان)[2]: أن عيسى بن عمر كان له اختيار في القراءة على قياس العربية.

٢ ـ توسعه في مجال التأليف النحوي، فقد انكب على الكتابة في النحو واللغة، وانقطع إليها.

ففي طبقات الزبيدي[3] عن أبي عبيدة أنه يروي عن عيسى بن عمر قوله: «كنت وأنا شاب أقعد بالليل فاكتب حتى ينقطع سوائي» يعني (وسطي).

وفي شذرات الذهب[4]: أن عيسى بن عمر صنف سبعاً وسبعين كتاباً في النحو، ولم يبق منها سوى (الجامع) و (الإكمال) لأنها احترقت إلاّ هذين.

---

(١) انظر: الموشح ٥٠.
(٢) ١١٨/٢.
(٣) ٤٢.
(٤) ٣٢٤/١.

و (الجامع) و (الإكمال) من الكتب النحوية التي ذكرت من قبل أكثر المؤرخين.

ويشير المبرد إلى مضمون أحدهما ـ دون أن يعينه ـ بأنه كالإشارة إلى الأصول، ففي (مراتب النحويين)[1]: «أخبرنا محمد بن يحيى، قال: أخبرنا محمد بن يزيد، قال: قرأت أوراقاً من أحد كتابي عيسى بن عمر، فكان كالإشارة إلى الأصول».

ويفاد من هذا أن هذين الكتابين اللذين لم يصلا إلينا كان أحدهما موجوداً حتى عصر المبرد.

ومن الإشارات التي تلمح إلى وجود (الجامع) حتى عصر سيبويه ما ذكر من أن سيبويه رحل إلى عيسى بن عمر، وعاد ومعه (الجامع) فسأله الخليل عن عيسى فأخبره وأراه (الجامع)، فقال الخليل:

بطل النحو جميعاً كله غير ما أحدث عيسى بن عمر
ذاك إكمال وهذا جامع فهما للناس شمس وقمر

وقالوا في التعليق على هذين البيتين: إن الخليل إنما قال (هذا جامع) ليشير به إلى النسخة التي أراها إياه سيبويه.

وبعد عيسى بن عمر كان دور يونس بن حبيب (ـ ١٨٢ هـ) والخليل بن أحمد الفراهيدي (ـ ١٧٥ هـ) تلميذي أبي عمرو بن العلاء.

فكانت لكل منهما حلقة درس في المسجد الجامع بالبصرة، وكانتا من الحلقات المعدودة والمنظورة، وعلى يديهما أرسى (الإجتهاد النحوي) دعائمه، وشق طريقه إلى الدراسات النحوية ينظمها وينميها، حتى بلغ الغاية: جدارة

ومن أشار إلى حلقة يونس المؤرخ القفطي، قال: «حضر الكسائي حلقة

(١) ص ٢٣.

يونس بالبصرة، فقال الكسائي ليونس: لم نصبت (حتى) الفعل المستقبل؟

فقال له يونس: هذا حالها من يوم خلقت.

فضحك منه الكسائي»[1].

وكان درو الخليل أبعد مدى وأكبر أهمية من دور زميله يونس فـ «هو الذي بسط النحو، ومد أطنابه، وسبّب علله، وفتق معانيه، وأوضح الحجاج فيه، حتى بلغ أقصى حدوده، وانتهى إلى أبعد غايته» ـ كما يقول الزبيدي[2]، وكان «الغاية في تصحيح القياس» كما يقول الأنباري[3].

ولعل الأنباري يعني بهذا أن (القياس البصري) الذي وقع موضع الاختلاف بين أبي عمرو بن العلاء وزميله عبد الله بن أبي إسحاق في اعتبار الاستعمال العربي الأقل شذوذاً أو غلطاً، صححه الخليل فاستقر على يديه وفق ما وضعه أبو عمرو بن العلاء واختاره مؤخراً عيسى بن عمر الثقفي، فأبطل بهذا مذهب ابن أبي إسحاق، وأرسى مذهب أبي عمرو.

ولم يصل إلينا من جهود يونس والخليل المثمرة المشار إليها في المجال النحوي غير ما نقله تلميذهما سيبويه في كتابه الذي ضم «٨٥٨ رأياً للأئمة السابقين (عليه) مثل: الخليل بن أحمد ويونس بن حبيب والأخفش (الأكبر) وأبي عمرو بن العلاء وعيسى بن عمر وأبي زيد الأنصاري»[4].

«وكثر نقله (فيه) عن يونس حتى نقل عنه أبواباً برمتها، فقد نقل عنه فصلين من التصغير، فقال: وجميع ما ذكرت لك في هذا الباب، وما أذكر لك في الباب الذي يليه قول يونس»[5].

---

(١) إنباه الرواة ٢/٢٦٩.

(٢) طبقات النحويين واللغويين ٤٣.

(٣) نزهة الألباء ٤٥.

(٤) أول كتاب في نحو العربية، د. حسن عون، مجلة كلية الآداب لجامعة الإسكندرية ١٩٥٨ م.

(٥) نشأة النحو ٨١ وانظر: كتاب سيبويه ٣/٤٢٣ ط هارون.

وبلغت فقوله عن يونس (٢٠٠) وعن الخليل (٥٢٢) [١] ، كما كانت « عامة الحكاية في كتاب سيبويه عن الخليل استاذه ، وكلما قال سيبويه (سألته) أو قال من غير أن يذكر قائله فهو الخليل » كما ينص بذلك السيرافي [٢] .

نعم ذكر أن للخليل كتاباً في النحو ، سماه بعضهم بـ (العوامل) وسماه آخرون (الجمل) ، وسمي (جمل الإعراب) ، وتوجد منه مخطوطات في بعض المكتبات المعاصرة . ولكن ظهر إنه ليس من تأليفه [٣] .

وذكر بروكلمان في كتابه (تاريخ الأدب العربي) أن يونس بن حبيب ألف كتاباً في (القياس في النحو) .

ولأن الكتاب لم يصل إلينا ولم نقف على من نقل عنه لا نقوى على الوثوق بصحة النسبة ، وبخاصة أن بروكلمان لا يتأكد من صحة نسبة الكتاب الذي يذكره إلى مؤلفه .

وكان بعد دورهما دور تلميذهما سيبويه (ـ ١٨٠ هـ) الذي لقب كتابه عند المتقدمين بـ (قرآن النحو) ، ولقب هو عند المتأخرين بـ (إمام النحاة) .

ويتلخص دور سيبويه بأنه جمع في كتابه عمن سبقه فأوعى ، واستوفى البحث في مسائل النحو ومبادئه فوفّى ، وضم فيه من الشواهد النحوية نثراً وشعراً ما كان كافياً في مد الدراسة النحوية بالمادة الوافية للاستشهاد والتدليل .

مضافاً إلى ما قام به من موازنة بين الأقوال ، ومحاكمة للآراء التي استعرضها في الكتاب ، وما أبداه من رأي واختيار ، ففتح بذلك طريق الرواية الصادقة والدراية الجادة الواعية أمام الباحثين والدارسين .

---

(١) انظر : سيبويه إمام النحاة لناصف ١٠٢ ط ٢ .
(٢) أخبار النحويين البصريين ٢٨ .
(٣) راجع : تحقيق التراث ١٤٥ .

وبكتاب سيبويه توافرت مادة الدرس النحوي توافراً كاملاً، مما جعل العلماء يفتنون به، معتكفين في محرابه، وعاكفين على دراسته، وتجلية مقاصده، واستدرار فوائده، حتى قيل: « إن عدد العلماء الذين فتنوا بكتاب سيبويه وتخصصوا فيه دراسة وتأليفاً يقرب من مائة عالم في سائر الأقطار العربية المختلفة »[1].

وقد ازداد هذا العدد زيادة ملحوظة، وقراءة لكتاب الاستاذ كوركيس عواد (سيبويه إمام النحاة في آثار الدارسين خلال اثني عشر قرناً) توقف القارىء على ذلك بوضوح.

وبصنيع سيبويه وأستاذيه يونس والخليل تكاملت للبصريين أصولهم في استنباط النحو، ومناهجهم في تقعيده، وفروعهم في وضع مسائله، فكان لهم مذهبهم النحوي، وكانت لهم مدرستهم النحوية، التي هي أول مدرسة نحوية في تاريخ النحو والنحاة.

وكانت حلقات الدرس النحوي بالبصرة تعقد في مسجدها الجامع، وقد مرت بنا الإشارة إلى بعض هذه الحلقات.

وممن ذكر حلقة درس سيبويه وانعقادها في جامع البصرة أبو المحاسن التنوخي، قال: « وقال ابن عائشة: كنا نجلس عند سيبويه النحوي في المسجد ـ يعني مسجد البصرة ـ وكان شاباً جميلاً لطيفاً، قد تعلق من كل علم بسبب مع براعته في النحو، فبينما نحن عنده ذات يوم هبت ريح أطارت ورقاً كان بين يديه، فقال [لواحد من] أهل الحلقة: انظر، أيٌّ ريح هي؟ فقام لذلك، وكان على منارة المسجد مثال فَرَس من صُفر، ثم عاد، فقال ما تثبت الفرس على شيء، فقال سيبويه: العرب تقول في مثل هذا: تذاءب الريح، أي فعلت فعل الذئب، يجيء من هاهنا وهاهنا، تختل ليتوهم الناظر أنه عدة ذئاب.

وقال ابن سلاّم في كتابه: كنت جالساً في حلقة سيبويه في مسجد البصرة،

---

(١) تطور الدرس النحوي ٥٣.

فتذاكرنا شيئاً من حديث قتادة، فذكر حديثاً غريباً، فقال: لم يروِ هذا إلاّ سعيد بن أبي العَرُوبة »[1].

ولـ (جامعة البصرة) اليوم نشاط نحوي درساً وتأليفاً ونشراً، متمثل بقسم اللغة العربية في كلية الآداب.

وهو بدوره يعيد لحاضرة البصرة شيئاً من وقدة الدرس النحوي الذي كان مسجدها الجامع منطلقه إلى مختلف مراكز الدراسات النحوية.

ولعل من أهم ذلكم النشاط في مجال النشر طبع كتاب (مدرسة البصرة النحوية) تأليف الدكتور عبد الرحمن السيد.

مكة المكرمة

ومن البصرة امتد علم النحو منتشراً إلى الحواضر العلمية الأخرى..

وأولى تلكم الحواضر التي وصل إليها الفكر النحوي (مكة المكرمة).. وكان ذلك في زمن النحو المبكر، أي في القرن الأول الهجري.

ومن نحاتها في ذلكم الوقت:

- ابن عباس (ت ٦٨ هـ).
- مجاهد بن جبر (ت ١٠٤ هـ).
- عبد الله بن كثير (ت ١٢٠ هـ).
- محمد بن عبد الرحمن بن محيصن (ت ١٢٣ هـ).
- حُميد بن قيس الأعرج (ت ١٣٠ هـ).

ويفاد هذا من النصوص التالية:

١ ـ جاء في (غاية النهاية):[2] « قال عمرو بن دينار: ما رأيت مجلساً قط

(١) تاريخ العلماء النحويين ٩٥ ـ ٩٦.
(٢) ٤٢٦/١.

أجمع لكل خير من مجلس ابن عباس للحلال والحرام وتفسير القرآن والعربية والشعر و[الغريب من] الكلام ».

٢ ـ وفي (حلية الأولياء)[١]: « حدثنا أبو حامد بن جبلة، ثنا محمد بن إسحاق الثقفي، ثنا عبد الله بن عمر بن أبان الجعفي، ثنا يونس بن بكير، ثنا أبو حمزة الثمالي عن أبي صالح، قال: لقد رأيت من ابن عباس مجلساً لو أن جميع قريش فخرت به لكان لها فخراً.. لقد رأيت الناس اجتمعوا حتى ضاق بهم الطريق، فما كان أحد يقدر على أن يجتمع ولا أن يذهب.

قال: فدخلت عليه فأخبرته بمكانهم على بابه.

فقال لي: ضع لي وضوءاً.

قال: فتوضأ وجلس، وقال: أخرج وقل لهم: من كان يريد أن يسأل عن القرآن وحروفه وما أراد منه فليدخل.

قال: فخرجت فأذنتهم، فدخلوا حتى ملأوا البيت والحجرة، فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم به وزادهم مثل ما سألوا عنه أو أكثر.

ثم قال: إخوانكم... فخرجوا.

ثم قال: اخرج فقل: من أراد أن يسأل عن تفسير القرآن وتأويله، فليدخل.

قال: فخرجت فأذنتهم، فدخلوا حتى ملأوا البيت والحجرة، فما سألوه عن شيء إلاّ أخبرهم به وزادهم مثل ما سألوا عنه أو أكثر.

ثم قال: إخوانكم.. فخرجوا.

ثم قال: اخرج فقل: من أراد أن يسأل عن الحلال والحرام والفقه، فليدخل، فخرجت، فقلت لهم.

قال: فدخلوا حتى ملأوا البيت والحجرة، فما سألوه عن شيء إلاّ أخبرهم به وزادهم مثله.

---

(١) ١/٣٢٠ ـ ٣٢١.

ثم قال: إخوانكم.. فخرجوا.

ثم قال: اخرج فقل: من أراد أن يسأل عن الفرائض وما أشبهها، فليدخل.

قال: فخرجت فأذنتهم، فدخلوا حتى ملأوا البيت والحجرة، فما سألوه عن شيء إلاّ أخبرهم به وزادهم مثله.

ثم قال: إخوانكم.. فخرَجوا.

ثم قال: أخرج فقل: من أراد أن يسأل عن العربية والشعر والغريب من الكلام، فليدخل.

قال: فدخلوا حتى ملأوا البيت والحجرة، فما سألوه عن شيء إلاّ أخبرهم به وزادهم مثله.

قال أبو صالح: فلو أن قريشاً كلها فخرت بذلك لكان فخراً، فما رأيت مثل هذا لأحد من الناس».

٣ ـ وفي (مفتاح السعادة)[١]: «عن أبي عمرو بن العلاء: كان ابن كثير أعلم بالعربية من مجاهد، وأنا قرأت عليهما.

٤ ـ وفي (غاية النهاية)[٢]: «قال الأصمعي: قلت لأبي عمرو: قرأتَ على ابن كثير؟.. قال: نعم. ختمت على ابن كثير بعد ما ختمت على مجاهد، وكان ابن كثير أعلم بالعربية من مجاهد».

٥ ـ وفي (الموضح) لنصر بن علي[٣]: «وقال الأصمعي: قلت لأبي عمرو بن العلاء: أقرأتَ على ابن كثير بعد أن قرأتَ على مجاهد بن جبر؟.. قال: نعم. قرأتُ على ابن كثير، لأنه كان أعلم من مجاهد باللغة».

---

(١) ١/٣٦٩.

(٢) ١/٤٤٤ ـ ٤٤٥.

(٣) انظر: ترجمة ابن كثير.

٦ ـ وفي (غاية النهاية)[1]: عن ميمون بن عبد الملك (قال): سمعت أبا حاتم يقول: ابن محيصن بن قريش، وكان نحوياً، قرأ القرآن على مجاهد، وقال أبو عبيد: وكان من قراء مكة: عبد الله بن كثير وحُميد بن قيس ومحمد بن محيصن، وكان ابن محيصن أعلمهم بالعربية وأقواهم عليها.

٧ ـ وفي المصدر نفسه: وقال ابن مجاهد: كان لابن محيصن إختيار في القراءة على مذهب العربية.

٨ ـ وفي الموضح: وكان (ابن كثير) مع ذلك فاضلاً عالماً زاهداً مشتهراً بعلم النحو واللغة.

وقد تم انتشار النحو من البصرة إلى مكة في فترة المرحلة الأولى للنحو، وهي مرحلة انبثاقه ونشوئه على يدي أبي الأسود الدؤلي وجيله ـ كما ألمحت قبل قليل.

ويفهم هذا من تواريخ وفيات النحويين المكيين المذكورة أسماؤهم في أعلاه.

وكان دخول النحو إلى مكة ـ في ضوء ما ظهر لي ـ على يد ابن عباس، وذلك لأمرين:

١ ـ إن النصوص المذكورة لم تشر إلى عالم مكي كان أسبق من ابن عباس علماً بالنحو.

٢ ـ إن ابن عباس كان في البصرة في فترة انبثاق النحو فيها ووجود بداياته.. فمن المظنون قوياً أنه اكتسبه وهو في البصرة، فقد جاء في تاريخ إبن عباس أنه «علّم في البصرة وعلّم في المدينة، ثم لما كان الخلاف بين عبد الملك بن مروان وعبد الله بن الزبير ذهب إلى مكة وعلّم بها، فكان يجلس في البيت الحرام ويعلّم التفسير والحديث والفقه والأدب»[2].

---

(١) ١٦٧/٢.

(٢) فجر الإسلام ١٧٣ ط ٦.

ولا يزال المسجد الحرام بمكة المكرمة منذ الأمس البعيد الذي ألمحت إليه مركزاً مهماً من مراكز الدراسات النحوية، وفي فنائه الرحب المعطاء تصدر اكثر من عالم لتدريس النحو، منهم:

- عبد الله الفاكهي (ت ٩٧٢ هـ) الذي ألّف في النحو الكتب التالية:
  - شرح الأجرومية لابن آجروم.
  - شرح متممة الأجرومية للحطاب.
  - شرح قطر الندى لابن هشام.
  - شرح ملحة الإعراب للحريري.
  - الحدود = الحدود النحوية.
  - شرح الحدود.

٢ - الملا عليه القاري (ت ١٠١٤ هـ).

٣ - أبو السعود القسطلاني (ت ١٠٣٣ هـ)، وله شرح الأجرومية.

٤ - الملا عصام (ت ١٠٣٧ هـ)، وله من المؤلفات في النحو:
  - شرح شذور الذهب لابن هشام.
  - شرح الإرشاد.
  - شرح قطر الندى لابن هشام.
  - حاشية على شرح قطر الندى.
  - حاشية على شرح القواعد للازهري.
  - شرح الأجرومية.

٥ - محمد علي علان (ت ١٠٥٨ هـ)، وله في النحو:
  - نظم القطر وشرحه.
  - نظم الأجرومية وشرحه.
  - حاشية على شرح الأجرومية للأزهري.
  - داعي الفلاح في شرح الاقتراح للسيوطي.
  - فتح الوهاب في قواعد الإعراب وشرحها.

٦ ـ أحمد الأسدي (ت ١٠٦٦ هـ)، وله: نظم شذور الذهب لابن هشام.

٧ ـ أبو بكر العجيمي (ت ١٢٣٦ هـ) مؤلف الرسالة النحوية التي اشتهرت باسمه (رسالة العجيمي) والتي «كان عليها العمل في مكة قبل أن يشتهر شرح الشيخ خالد الأزهري وشرح الشيخ حسن الكفراوي على الأجرومية».

٨ ـ أحمد المرزوقي (ت ١٢٦٢ هـ)، ألّف نحوياً:

- تسهيل الأذهان على متن تقويم اللسان للخوارزمي البقالي.
- الفوائد المرزوقية شرح الأجرومية.
- منظومة في قواعد الصرف والنحو.

٩ ـ إبراهيم الفته (ت ١٢٩٠ هـ)، وله:

- شرح الأجرومية.
- شرح ملحة الإعراب.

١٠ ـ أحمد زيني دحلان (ت ١٣٠٤ هـ) صاحب الأزهار الزينية في شرح الألفية.

١١ ـ عبد الله بن عثمان (ت ١٣٢٤ هـ)، وله:

- حاشية على شرح العشماوي على الأجرومية.
- شرح الأجرومية[1].

وإلى جانب مركزية المسجد الحرام تقوم (جامعة أم القرى) مركزاً آخر في مكة المكرمة يدرّس فيها النحو بمختلف المراحل الجامعية أولية وعالية وعليا.

المدينة المنورة

وفي الفترة نفسها (أي في القرن الأول الهجري) امتد النحو إلى المدينة المنورة، فكانت ثاني مركز نحوي يدخله النحو بعد مكة.

(١) يرجع إلى تراجم المذكورين في كتاب (المختصر من كتاب نشر النور والزهر في تراجم أفاضل مكة من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر).

وتم دخول النحو إلى المدينة على يد عبد الرحمن بن هرمز المدني (ـ ١١٧ هـ).. قال القفطي: « قال أهل العلم: إنه (يعني ابن هرمز) أول من وضع علم العربية، والسبب في هذا القول، أنه أخذ عن أبي الأسود الدؤلي، وأظهر هذا العلم بالمدينة، وهو أول من أظهره وتكلم فيه بالمدينة، وكان من أعلم الناس بالنحو وأنساب قريش، وما أخذ أهل المدينة النحو إلاّ منه، ولا نقلوه إلاّ عنه، وإليه أشار ابن برهان النحوي في شرحه للمع بأن قال: (النحاة جنس تحته أنواع: مدنيون. بصريون. كوفيون)... ويروى أن مالك بن أنس إمام دار الهجرة تردد إليه يطلب النحو واللغة قبل إظهارهما »[1].

وتصدر بعد ابن هرمز لتدريس النحو بالمدينة بشكست النحوي (ـ ١٣٠ هـ) واسمه عبد العزيز، قال ابن عساكر: « وكان نحوياً أخذ عنه أهل المدينة وكان يذهب مذهب الشراة ويكتم ذلك، فلما ظهر أبو حمزة الشاري بالمدينة سنة ١٣٠ هـ خرج معه فقتل فيمن قتل بخلافة مروان بن محمد »[2].

ومن نحاة المدينة علي الملقب بـ (الجمل)، جاء في (انباه الرواة)[3]: قال أبو حاتم في كتابه في القراءات حيث ذكر القرّاء والعلماء: كان في المدينة علي الملقب بالجمل، وضع كتاباً في النحو لم يكن شيئاً فذهب، وأظن الأخفش هذا وضع كتابه في النحو منه، ولذلك قال فيه (الزيت رطلان بدرهم) والزيت لا يذكر بالبصرة لأنه ليس بأدام لهم».

ولا تزال المدينة المنورة ـ هي الأخرى ـ مركزاً من مراكز الدراسات النحوية، فرحاب مسجد رسول الله ﷺ لا تبرح عامرة بالدرس النحوي رصيفاً للداته من مواد الثقافة الإسلامية والعربية.

---

(١) إنباه الرواة ١٧٢/٢.

(٢) في أصول النحو ١٣ عن تاريخ دمشق ٤٥٤/٥ مخطوطة الظاهرية، وانظر: الأغاني ٢٩٠/١ مصورة ط دار الكتب.

(٣) ٣٨/٢.

وفي المدينة تقوم اليومَ (الجامعة الإسلامية) وفيها كلية للغة العربية من اختصاصاتها ومناهجها تدريس النحو، وبشتى مراحل الدرس الجامعي: بكالوريس وماجستير ودكتوراه.

الكوفة

وبعد أن اكتمل النحو علماً له قواعده وأصوله ومنهج بحثه على يدي أبي عمرو بن العلاء وزميله عبد الله بن أبي إسحاق وتلامذتها امتد النحو من البصرة إلى الكوفة عن طريق المقرىء النحوي شيبان بن عبد الرحمن التيممي البصري (ـ ١٦٤ هـ) الذي تخرج فيه معاذ بن مسلم الهراء (ت ١٨٩ هـ) رأس نحاة الكوفة وصاحب أول حلقة لتدريس النحو في المسجد الجامع بالكوفة.

وتتلمذ على الهراء أبو جعفر الرؤاسي (ـ ١٨٧ هـ)، وكان ذلك بعد عودته من البصرة وتلمذته على أساتذتها أمثال الخليل.

وكان الرؤاسي ممن عقدت له حلقة تدريس للنحو في المسجد الجامع بالكوفة.

وبالرؤاسي بدأ التأليف النحوي الكوفي، وذلك بكتابه المعروف بـ (الفيصل).

وكان من نحاة الكوفة في هذه الفترة الأولى أبان بن تغلب الجريري (ت ١٤١ هـ)، قال الداني: «هو ربعي كوفي نحوي»[1]، وزهير بن ميمون الفرقبي (ت ١٥٥ هـ) جاء في إنباه الرواة[2]: «قال الهيثم بن عدي: رأيت زهيراً الفرقبي وقد اجتمع عليه ناس يسألونه عن القراءات والعربية وهو يجيبهم ويحتج على ما يقول بأشعار العرب، وكان يروي كثيراً من ذلك عن ميمون الأقرن،

---

(١) بغية الوعاة ١/٤٠٤.

(٢) ٢/١٩.

وكان أبو جعفر الرؤاسي يأخذ عنه.

وفي الإنباه أيضاً[1]: «قال أبو بكر بن عياش: قلت لزهير الفرقبي بمكة أنّى لك النحو؟ قال: سمعناه من أصحاب أبي الأسود فأخذناه».

وبعد الرؤاسي كان دور تلميذه علي بن حمزة الكسائي (ت ١٨٩ هـ) والذي رحل ـ هو الآخر ـ إلى البصرة وأخذ عن شيوخها أمثال: يونس بن حبيب والخليل بن أحمد، ثم عاد إلى الكوفة لتستقر على يده المدرسة النحوية الثانية، التي راحت تنافس مدرسة النحو الأولى بالبصرة فتتكامل معها في نشر النحو إلى مراكز علمية أخرى مما سيأتي ذكره.

ويأتي بعد دور الكسائي دور أبي زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت ٢٠٧ هـ) الذي ذهب إلى البصرة ـ هو الآخر ـ وأخذ النحو فيها عن يونس بن حبيب، وعاد إلى الكوفة، وحضر على الرؤاسي، وشد رحاله إلى بغداد حيث كان يقيم الكسائي هناك، وتتلمذ عليه، واتصل بعد ذيوع صيته بالخليفة المأمون، فانتدبه لتأديب ابنيه، كما اقترح عليه أن يؤلف كتاباً في أصول النحو، فقدم له بعد سنتين كتاب (الحدود).

وللفراء من المؤلفات التي وصلت إلينا (معاني القرآن) الذي عالج فيه كثيراً من المسائل اللغوية والنحوية.

وقد بنى الكوفيون مذهبهم النحوي على التحرر مما حافظ عليه البصريون، فوسعوا في دائرة النقل عن العرب إلى الأخذ من الأعراب الذين لم يسلموا من مخالطة الأعاجم ومن التأثر بتهاون الحضرية، كما تساهلوا في التأكيد على وثاقة الراوية ضبطاً وصدقاً، ولم يقتصروا في نقلهم على الاستعمال الغالب عند العرب، بل جوّزوا الأخذ بالاستعمال غير الغالب.

ومما يشير إلى شيء من هذا قول ابن درستويه: «وكان الكسائي يسمع الشاذ

---

(١) ١٨/٢.

الذي لا يجوز إلاّ في الضرورة فيجعله أصلاً ويقيس عليه »[1].

وعلى أساس من هذا خالفوا البصريين في الكثير من المسائل النحوية، ومن أحفل الكتب بعرض مسائل الخلاف بين المدرستين البصرية والكوفية:

١ ـ كتاب الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، لأبي البركات بن الأنباري (ت ٥٧٧ هـ). وقبله ألف في الخلاف النحوي بين البصرية والكوفية، كل من:

٢ ـ ابن كيسان (ت ٣٢٠ هـ)، له: المسائل على مذهب النحويين مما اختلف فيه البصريون والكوفيون.

٣ ـ أبو جعفر النحاس (ت ٣٣٨ هـ) ألف كتابه: المقنع في اختلاف البصريين والكوفيين.

وبعد ابن الأنباري ألف في الخلاف المذكور:

٤ ـ أبو البقاء العكبري (ت ٦١٦ هـ)، ألف: التبيين في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين.

٥ ـ ابن إياز (ت ٦٨١ هـ)، ألف: الإسعاف في مسائل الخلاف[2].

بغداد

وكان للخطوة التي نالها الكسائي الكوفي لدى الخلفاء العباسيين العامل القوي في التفاف العلماء والطلاب حوله وتزاحم الركب بين يديه حتى ثنيت له الوسادة لنشر النحو الكوفي ببغداد.

وكان هذا أيضاً مما أثار حفيظة نحاة البصرة، ودعا الأخفش الناحي البصري

---

(١) بغية الوعاة ١٦٤/٢.

(٢) أنظر: من تاريخ النحو ٩١ ـ ٩٢.

تلميذ سيبويه وناشر كتابه، أن يشد الرحال إلى بغداد ويلقي عصا الترحال فيها، ويقوم بدور نشر النحو البصري منافساً للنحو الكوفي.

وكان بهذا أن تكامل النحوان الكوفي والبصري معاً في إشاعة حلقات الدرس النحوي ببغداد.

وكان في بغداد بعد الكسائي والأخفش، أبو العباس المبرد البصري الذي أثرى المكتبة النحوية واللغوية بما صنف وأعطى، ومنافسه أبو العباس ثعلب الكوفي مؤدب الخليفة ابن المعتز الأديب الشاعر.

وكان هذان العلمان البصري والكوفي يلتقيان في مجالس الخلفاء والأمراء وأبهاء قصورهم، وكانت تعقد بينهما المناظرات العلمية، ومن ورائهما تلامذتهما وأتباعهما.

وممن نبغ إماماً في النحو من البغداديين وساهم في الدراسات النحوية ونشرها:

ـ أبو إسحاق الزجاج (ت ٣١٠ هـ)، ووصل إلينا من تأليفه النحوي تفسيره المعروف بـ (معاني القرآن وإعرابه).

ـ أبو بكر بن السراج (ت ٣١٦ هـ) له كتاب (أصول النحو) قال فيه ياقوت الحموي: «وهو أحسنها وأكبرها وإليه المرجع عند اضطراب النقل واختلافه، جمع فيه أصول العربية، وأخذ مسائل سيبويه ورتبها أحسن ترتيب».

ـ أبو القاسم الزجاجي (ت ٣٣٧ هـ) الذي نزل بغداد قادماً من نهاوند، ولزم الزجاج حتى برع في النحو، ورحل بعد ذلك إلى دمشق ودرّس النحو في جامعها، وقصد مكة وألف فيها كتابه (الجمل) الكتاب الذي نال في الحظوة عند المغاربة ما يداني حظوة كتاب سيبويه عند المشارقة، فقد تصدى الكثير منهم لشرحه وشرح شواهده، «قال الفهري ـ وهو أحد شراح الجمل ـ: أكثر الناس من استعمال الجمل ودراسته، وألزموا أنفسهم حفظه ودرايته... وإنه

تصنيف قد أنجد وغار وطار في الآفاق كل مطار »[1]، « وقال صاحب مرآة الجنان ٣٣٢/٢ : أخبرني بعض فضلاء المغاربة بأن عندهم لكتابه (أي الجمل) مائة وعشرين شرحاً »[2].

ـ وأبو البركات بن الأنباري (ت ٥٧٧ هـ)، وكانت حلقة درسه تعقد بـ (المدرسة النظامية) كما جاء في مقدمة كتابه (الإنصاف) قال: « وبعدُ فإن جماعة من الفقهاء المتأدبين والأدباء المتفقهين المشتغلين عليّ بعلم العربية بالمدرسة النظامية ـ عمر الله مبانيها ورحم بانيها ـ سألوني أن ألخص لهم كتاباً لطيفاً.. الخ ».

وهذه الإضافة في أمكنة التدريس التي جعلت المدارس إلى جانب المساجد حدثت في أواخر القرن الرابع الهجري حيث أنشئت أول مدرسة بدمشق سنة ٣٩١ هـ « أسسها الأمير شجاع الدولة صادر بن عبد الله، وسميت باسمه (المدرسة الصادرية)، وتبعه مقرىء دمشق رشاء بن نظيف فأسس (دار القرآن الرشائية) في حدود الأربعمائة »[3].

وفي النصف الثاني من القرن الرابع الهجري أنشئت المدرسة النظامية ببغداد، أسسها نظام الملك (ت ٤٨٦ هـ) وزير ألب أرسلان السلجوقي، وبدىء في بنائها سنة ٤٥٧ هـ وفتحت أبوابها للتدريس في عام ٤٥٩ هـ[4].

وفي العام ٦٢٥ هـ تم إنشاء المدرسة المستنصرية التي أمر بإشادتها المستنصر بالله (ت ٦٢٣ هـ) الخليفة العباسي ببغداد أيضاً، فكانت الرصيفة للمدرسة النظامية.

تعقد حلقات الدرس النحوي في المستنصرية حلقة يعقوب بن يوسف العبادي (ت ٦٤١ هـ)[5]، وحلقة ابن إياز (ت ٦٨١ هـ): « قال الصفدي: ولي

---

(١) الزجاجي للمبارك ١٧.
(٢) الزجاجي ١٨.
(٣) المدرسة النحوية في مصر والشام ٢٩ عن مقدمة المنجد لكتاب دور القرآن بدمشق للنعيمي.
(٤) تاريخ التعليم في الأندلس ٣٧٦.
(٥) بغية الوعاة ٣٥١/٢.

مشيخة النحو بالمستنصرية »[1]، وحلقة ذي الفقار بن محمد العلوي الحسيني الشافعي (ت ٦٨٥ هـ): « قال الذهبي: نحوي، سمع ببغداد من الكاشغري وابن الخازن، ودرّس بالمستنصرية »[2].

وإلى جانب النظامية والمستنصرية كانت مدارس أُخرى كالمدرسة الشرابية أو الإقبالية التي أنشئت بعد المستنصرية بثلاثة أعوام.

ومن المساجد ببغداد التي جاءت في اتخاذها مكاناً للتدريس جامع المنصور،.. وذكر أن أبا السعادات بن الشجري النحوي كان « يجلس يوم الجمعة بجامع المنصور مكان ثعلب ناحية الرباط يُقرأ عليه »[3].

وذكر أيضاً أن ابن كيسان النحوي (ت ٢٩٩ هـ): « كانت له حلقة عامرة يقصدها الطلاب والشيوخ في جامع المنصور، وممن كان يجلس فيها القاضي إسماعيل بن إسحاق الفقيه المالكي المشهور وعالم العربية والقراءات »[4].

وإستمرت حركة الدرس النحوي ببغداد تملأ رحاب مساجدها وأروقة مدارسها، ولكن بين مد وجزر، حتى كانت جامعة بغداد، فأعادت للدرس النحوي قوة نشاطه وحركة انتشاره بما فتحت له من مستويات في تدرج الدراسة الجامعية من بكالوريوس وماجستير ودكتوراه، وبما أخرجت من كتب نحوية تأليفاً مستجداً وإحياء لتراث قديم.

ومن أشهر أعلامها النحاة إستاذنا المرحوم الدكتور مصطفى جواد (ت ١٣٨٩ هـ) وأستاذنا المرحوم الأستاذ كمال إبراهيم (ت ١٣٩٣ هـ) وأستاذنا الدكتور إبراهيم السامرائي والدكتور مهدي المخزومي، وغيرهم.

---

(١) بغية الوعاة ٢/٣٥٢.

(٢) بغية الوعاة ١/٥٦٥.

(٣) أبو البركات بن الأنباري ٣٥.

(٤) ابن كيسان النحوي ٢٣.

الموصل

قال السيوطي في ترجمة الفهري: « مسلمة بن عبد الله بن سعد .بن محارب الفهري كان من أئمة النحو المتقدمين، أخذ النحو عن خاله عبد الله بن أبي إسحاق، وكان صائناً لنفسه، ثم صار في آخر عمره مؤدباً لجعفر بن أبي جعفر المنصور، ومضى معه إلى الموصل، وأقام بها حتى مات، فصار على أهل الموصل من قِبَله، قال الزبيدي: وكان حماد بن الزبرقان ويونس يفضلانه »[1].

والذي يفيده هذا النص ان النحو امتد من البصرة إلى الموصل مبكراً، أي في القرن الثاني الهجري، وربما كان سابقاً في دخوله الموصل لدخوله بغداد.

وفي القرن الرابع الهجري أصبحت الموصل من مراكز الدراسات النحوية المشار إليها.

وكان من أساتذة النحو فيها آنذاك أحمد بن محمد الموصلي وتلميذه أبو الفتح بن جني (ت ٣٩٢ هـ) اللذان درّسا النحو في مسجدها الجامع.

ومن نحاة الموصل:

- ابن الدهان (ت ٥٦٩ هـ).
- ابن الخباز (ت ٦٣٧ هـ).
- ابن القواس (ت ٦٩٦ هـ) شارح ألفية ابن معط.
- ركن الدين الاستراباذي (ت ٧١٥ هـ) شارح كافية وشافية ابن الحاجب.
- ابن شيخ العوينة (ت ٦٨١ هـ).
- بدر الدين الأربلي (ت ٦٨٦ هـ).

ومن مدارس الموصل التي عرفت التدريس النحو فيها: المدرسة السلطانية والمدرسة النورية.

---

(١) بغية الوعاة ٢/٢٨٧.

وتقوم فيها اليوم (جامعة الموصل) تعيد لها نشاطها اللغوي والنحوي.

إربل

وكذلك إربل كانت ـ هي الأخرى ـ مركزاً من مراكز الدراسات النحوية، ولعل النحو امتد إليها من الموصل لقربها منها.

وممن اشتهر بالنحو وتدريسه في إربل:

ـ محمد بن يوسف بن قائد الخطيب (ت ٥٨٥ هـ).

ـ ابن الدباغ (ت ٥٨٤ هـ).

ـ محمد بن أبي جابر (ت ٥٦١ هـ).

الأندلس

وفي القرن الثاني الهجري، ومع أول نحاة الأندلس جودي بن عثمان المَوْروري المغربي (ت ١٩٨ هـ) امتد النحو من الكوفة إلى الأندلس، فقد قصد جودي الكوفة وتتلمذ للكسائي والفراء والرياشي، وروى كتاب الكسائي وحمله معه وهو قافل إلى المغرب. ولكنه لم يقم في موطنه، وإنما ذهب إلى (قرطبة)، فادخل النحو الكوفي إلى الأندلس.

وكان هذا ثاني امتداد للنحو الكوفي بعد امتداده إلى بغداد.

وتصدى جودي بعد وصوله إلى الأندلس لتعليم النحو، فدرّس في غرناطة ثم في قرطبة،.. وصنف كتاباً في النحو، فكان أول من ألّف في النحو من الأندلسيين، كما أنه كان أول من تخرج به جماعة من النحاة الأندلسيين.

وبعد مرور قرن على دخول النحو الكوفي إلى الأندلس دخلها النحو البصري عن طريق محمد بن موسى الافشين ـ أو الافُشْنيق ـ (ت ٣٠٧ هـ) الذي ذهب إلى البصرة وأخذ عن المازني، ثم ذهب إلى مصر وأنتسخ كتاب سيبويه روايةً عن

أبي علي أحمد بن جعفر الدينوري (ت ٢٨٩ هـ)، وأدخله معه إلى الأندلس، وجلس في مسجد قرطبة الجامع يُقرؤه طلابه.

وحمل علي بن محمد بن إسماعيل بن بشر الأنطاكي (ت ٣٧٦ هـ) إلى الأندلس كتاب أستاذه أبي القاسم الزجاجي (الجمل)، وبه أدخل الفكر النحوي البغدادي إلى الأندلس.

وبعده حمل إلى الأندلس علي بن إبراهيم التبريزي (ت ٤٢١ هـ) كتب أبي علي الفارسي، وكتب تلميذه ابن جني فتكامل بها مع جمل الزجاجي الفكر النحوي البغدادي.

ومن مشهوري نحاة الأندلس:

ـ محمد بن الحسن الزبيدي (ت ٣٧٩ هـ) مؤلف طبقات النحويين واللغويين وكتاب الواضح في النحو.

ـ ابن الإفليلي (ت ٤٤١ هـ) الذي كان من شيوخ النحو بجامع قرطبة الكبير.

ـ الأعلم الشنتمري (ت ٤٧٦ هـ).
ـ ابن السيد البطليوسي (ت ٥٢١ هـ).
ـ الباذش الغرناطي (ت ٥٢٨ هـ).
ـ ابن الطراوة (ت ٥٢٨ هـ)، الذي استطاع بنشاطه النحوي والأدبي أن يجعل من (مالَقَة) مركزاً من مراكز الدرس النحوي بالأندلس.

ـ عبد الرحمن بن محمد الرماك الأشبيلي (ت ٥٤١ هـ) الذي أقرأ النحو بإشبيلية.

ـ جابر بن محمد التميمي، «قال ابن الزبير: نحوي مقرىء، أقرأ بجامع غرناطة»[1].

(١) بغية الوعاة ١/٤٨٤.

- ابن مضاء القرطبي الظاهري (ت ٥٩٢ هـ) مؤلف كتاب (الرد على النحاة).

- أبو علي الشلوبيني (ت ٦٤٥ هـ).
- ابن عصفور الأشبيلي (ت ٦٦٣ هـ).
- ابن مالك الجيّاني (ت ٦٧٢ هـ) ناظم الألفية الشهيرة.
- أبو حيان الغرناطي (ت ٧٤٥ هـ) الذي درّس النحو في جماع الحاكم بالقاهرة، وتخرج به جيل من النحاة المصريين أمثال ابن عقيل، وابن أم قاسم.

وخلال هذه القرون السبعة الممتدة من القرن الثاني الهجري حتى القرن الثامن الهجري قدم الأندلسيون خدمة جلى للنحو واللغة، فأشاعوا الدراسات النحوية في مختلف حواضر الأندلس أمثال: مالَقة وقرطبة وغرناطة والمَرّية وجيّان وطليطلة وإشبيلية، وأغنوا المكتبة النحوية بما خلفوا من تراث نحوي نفيس.

وقد كان أهم مركز للدرس النحوي في الأندلس جامع قرطبة «وكان يعد أعظم جامعة غربية في أوربا في العصر الوسيط، وقد قيل إن الراهب (جير بير) الذي أصبح فيما بعد (البابا سلفستر الثاني) أتم دراسته في جامع قرطبة.

ولا نشك في أن كثيرين من نصارى الأندلس من أهل الذمة قد تعلموا فيه علوم العربية، واستعربوا أي تثقفوا بالثقافة العربية»[(١)].

ولكبير اهتمام المسلمين الأندلسيين بكتاب سيبويه «جعل اليهود في الأندلس ينقلون مضمون كتاب سيبويه إلى اللغة العبرية ليكون بمثابة دستور يسيرون عليه في تنظيم قواعد النحو في اللغة العبرية»[(٢)].

---

(١) تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ٣٨٢.
(٢) تطور الدرس النحوي ٥٠.

المغرب

جاء ببغية الوعاة[1] في ترجمة محمد بن إسماعيل النحوي المغربي المعروف بـ (حمدون) المتوفى بعد المائتين: أنه كان يحفظ كتاب سيبويه.

وهذا يعني أن النحو دخل بلاد المغرب في الوقت الذي دخل فيه بلاد الأندلس، أي في القرن الثاني الهجري، وأن النحوي المذكور (حمدون) كان من أوائل النحاة المغاربة.

وممن عرف من المغاربة النحاة:

- محمد بن أحمد اللخمي السبتي (ت ٥٧٠ هـ).
- محمد بن أحمد بن طاهر المشهور بالخِدَب (ت ٥٨٠ هـ) الذي كان يقرىء كتاب سيبويه بـ (فاس)، وعمل عليه حواشي قال السيوطي: «وقفت على حواشيه على الكتاب بمكة المشرفة»[2].

وممن أقرأ النحو بفاس أيضاً:

- محمد بن حكم الجزامي السرقسطي (ت حدود ٥٣٠ هـ).
- محمد بن يحيي العبدري (ت ٦٥١ هـ).
- محمد بن موسى السلوي (ت ٦٨٥ هـ).

ومنهم (أي النحاة المغاربة):

- أبو موسى الجزولي (ت ٦٠٥ هـ) صاحب المقدمة المشهورة.
- ابن آجروم (ت ٧٢٣ هـ) مؤلف المقدمة المعروفة بالأجرومية وذات الشهرة العريضة.

وفي القرن الثالث الهجري عندما أنشىء جامع القرويين بفاس مستهدَفاً من إشادته أن يكون منشأة تعليمية كان من مراكز الدراسة الإسلامية العربية، ومنها النحو.

---

(١) ٥٦/١.

(٢) البغية ٢٨/١.

ويضارعه في المركزية للدراسة الإسلامية العربية جامع عُقبة بن نافع في القيروان.

وفي عهد الحفصيين عندما جلب أبو زكريا الأول الأساتذة من الأندلس وصقلية ـ في القرن الثامن الهجري ـ للتدريس في جامع الزيتونة بتونس، كان ـ هو الآخر ـ مركزاً ثالثاً من مراكز التعليم الإسلامي العربي في المغرب، ومنه تعليم النحو.

وقد تحول جامع القرويين سنة ١٩٣١ م وجامع الزيتونة سنة ١٩٣٣ م إلى جامعة، محتفظاً كل منهما لنفسه بالتخصص بالدراسات الإسلامية العربية التي من بينها الدراسة النحوية، ثم ضيق نطاق جامعة الزيتونة إلى كلية العلوم الشرعية.

هذا إلى جانب الجامعات الأخرى التي تعنى بتعليم اللغة الغربية وآدابها أمثال:

- جامعة الرباط في المغرب.
- جامعة محمد الخامس في المغرب أيضاً.
- جامعة الجزائر في الجزائر.
- جامعة بنغازي في ليبيا.
- جامعة طرابلس في ليبيا.

وغيرها.

ولا ننسى هنا أن نشير إلى انتشار الدراسات المسجدية في مدن وقصبات دولة موريتانيا الإسلامية، كما هو الشأن في دول المغرب الأخرى.

فارس وما وراء النهر

الذي يظهر من تاريخ هجرة النحويين البصريين أن النحو دخل بلاد فارس في بدايات القرن الثاني الهجري مصاحباً الناحي البصري يحيى بن يعمر (ت ١٢٩ هـ) الذي رحل إليها منفياً من قبل الحجاج بن يوسف الثقفي والي

الأمويين على واسط، فقد جاء في تاريخه أن الحجاج « نفاه إلى خراسان فولاه قتبة بن مسلم قضاءها، فقضى في أكثر بلادها: نيسابور ومرو وهراة »[1].

وقد لا يشك هنا أن يحي بن يعمر نشر ما لديه من نحو، إلاّ أنه لم يكتب له أن يكون رقماً بارزاً من أرقام الدراسة في تلكم الربوع إلاّ في القرن الرابع الهجري، وبعد ازدهار الحضارة الإسلامية العربية على أيدي العباسيين، فقد جاء في تاريخ النحو في هذا القرن أن أبا شجاع عضد الدولة البويهي (ت ٣٧٢ هـ) كان نحوياً « وله في العربية أبحاث حسنة وأقوال، نقل عنه ابن هشام الخضراوي في الإفصاح »[2].

وقد تكون رحلة ابن دريد البصري (ت ٣١١ هـ) إلى فارس عاملاً من عوامل التمهيد لتحول بلاد فارس إلى مركز من مراكز الدرس النحوي.

ومن نحاة فارس في هذا القرن:

- محمد بن بحر الأصفهاني (ت ٣٢٢ هـ).
- محمد بن إبراهيم الجوري (ت ٣٥٤ هـ) الذي سمع ابن درستويه وابن دريد وأقرانهما.

وممن رحل في هذا القرن إلى بلاد فارس قاصداً قاعدة ملكها أصبهان أبو علي الفارسي، وكان بصحبته عبد الله بن عبد الأعلى النحوي، والتقى فيها عضد الدولة أبا شجاع ـ المقدم ذكره ـ فأجّله وقدّمه، وصنف أبو علي كتاب (الإيضاح) لعضد الدولة، ولذا عرف بـ (الإيضاح العضدي)، ويقال: ان عضد الدولة استصغر الإيضاح، وقال لأبي علي: « ما زدت على ما أعرف شيئاً، وإنما يصلح هذا للصبيان، فمضى (أبو علي) وصنف (له) التكملة، فلما وقف عليها (عضد الدولة) قال: غضب الشيخ وجاء بما لا نفهمه نحن ولا هو »[3].

---

(١) البغية ٣٤٥/٢.

(٢) البغية ٢٤٨/٢.

(٣) البغية ٤٩٦/١.

ومن قصد فارس:

ـ ملك النحاة (ت ٥٦٨ هـ) فوصل إلى خراسان وكرمان وغزنة.

ـ محمد بن علي بن الهيجاء الحلي (ت ٥٦١ هـ).

ومن نحاة فارس:

ـ أبو القاسم جار الله الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) صاحب المفصل والأنموذج.

ـ أبو الفتح المطرّزي الخوارزمي (ت ٦١٠ هـ).

ـ الحسن بن محمد النيسابوري (ت ٧٢٨ هـ): «له تفسير على القرآن سماه غرائب القرآن ورغائب الفرقان، وهو من أهل قم ـ كذا ذكر في خطبة تفسيره ـ، المشهور بـ (النظام) الأعرج، صاحب شرح الشافية على التصريف، وهو ممزوج، مشهور متداول»[1].

ـ أبو المكارم الجاربردي (ت ٧٤٦ هـ)، له شرح كافية ابن الحاجب وشرح شافيته.

ـ سعد الدين التفتازاني (ت ٧٩٢ هـ) مؤلف شرح تصريف الزنجاني.

ـ الشريف الجرجاني (ت ٨١٦ هـ).

ـ عبد الرحمن الجامي (ت ٨٩٨ هـ) الذي تلقى بالمدرسة النظامية في هراة، ثم تصدر للتدريس فيها، ومن مؤلفاته (الفوائد الضيائية) الشهير.

ـ محمد بن علي الموسوي العاملي (ت ١٠٠٩ هـ) صاحب شرح شواهد ابن الناظم.

ـ بهاء الدين العاملي (ت ١٠٣٥ هـ) مؤلف (الصمدية) المقدمة النحوية الشهيرة في تلكم البقاع.

---

(١) البغية ٥٢٥/١.

ـ محمد بن باقر بن علي الرضا (ت هـ) مؤلف (جامع الشواهد) المشتمل على شواهد الكتب التالية أسماؤها:

١ ـ شرح الأمثلة.
٢ ـ شرح التصريف.
٣ ـ الشافية.
٤ ـ شرح النظّام على الشافية.
٥ ـ شرح العوامل الجرجانية.
٦ ـ شرح قطر الندى.
٧ ـ شرح الأنموذج.
٨ ـ الهداية.
٩ ـ شرح الجامي على الكافية.
١٠ ـ البهجة المرضية.
١١ ـ مغني اللبيب.
١٢ ـ مختصر التلخيص.
١٣ ـ المطول.

وهي الكتب المقررة لدراسة النحو والصرف والبلاغة في بلادهم.

ولا تزال الدراسة النحوية قائمة في كل من إيران وأفغانستان في حواضر الدراسات الدينية فيها أمثال: مشهد وقم وهراة.

وفي كلية الآداب وكلية الألهيات والمعارف الإسلامية بجامعة طهران قسم خاص للغة العربية تدرس فيه مناهج المراحل الجامعية الثلاث: البكالوريوس والماجستير والدكتوراه.

وفي كلية الإلهيات والمعارف الإسلامية بجامعة مشهد من مواد مناهجها دراسة النحو والصرف.

ومن خراسان امتد النحو إلى بلاد ما وراء النهر بحكم طبيعة الجوار بينهما والصلة الحضارية والإجتماعية بين مجتمعات تلكم الربوع.

وذكر الجلال السيوطي في (البغية) من نحاة ما وراء النهر:

(من نحاة بلخ):

- إبراهيم بن رجاء بن نوح (ت ٢٥٦ هـ).
- محمد بن منصور بن داود بن سليمان (ت ٢٨٢ هـ).
- أحمد بن المنيّر بن يوسف (ت ٣١٥ هـ).
- محمد بن المطهر بن محمد بن ميزان الدهاسي (ت ٥٢٧ هـ).
- آدم بن أحمد بن أسد الهروي (ت ٥٣٦ هـ).

(من نحاة بخارى):

- محمد بن موسى بن عمران الزامي.
- إسحاق بن أحمد الصفار (ت بعد ٤٠٥ هـ).

(من نحاة سمرقند):

- عبد الله بن الحسين المروزي.

مصر

وفي القرن الثالث الهجري امتد النحو من البصرة إلى مصر عن طريق الوليد بن محمد التميمي (ت ٢٦٣ هـ) المعروف بـ (ولّاد)، وأصله من البصرة، ونشأ بمصر، ثم قصد مدينة الرسول ﷺ، والتقى فيها بالمهلبي تلميذ الخليل بن أحمد الفراهيدي، وأخذ النحو عنه، ثم رحل إلى البصرة والتقى الخليل نفسه، وتلمذ عليه، ثم قفل إلى مصر ومعه كتب النحو واللغة، فكان أول من أدخل كتب النحو واللغة إلى مصر.

ثم كان من بعده بمصر إبنه محمد المعروف بـ (ابن ولّاد) المتوفى سنة ٢٩٨ هـ، الذي يمم بغداد للحصول على كتاب سيبويه، والتقى المبرد هناك، ونسخ كتاب سيبويه منه، وقرأ عليه، ثم عاد إلى مصر ومعه كتاب سيبويه، فكان أول من أدخل كتاب سيبويه البلاد المصرية.

وجاء بعده ابنه أحمد (ت ٣٣٢ هـ)، وهو من أقرب تلامذة الزجاج إلى نفس الزجاج.

وبعد هذا الثالوث النحوي المصري انتشر النحو في مصر يحتضنه مسجد الفسطاط المعروف بمسجد عمرو بن العاص أو المسجد العتيق، وكان ممن تصدر لتدريس النحو فيه:

- ابن بابشاذ (ت ٤٦٩ هـ) مؤلف: المقدمة المحسبة.

ابن معط (ت ٦٢٨ هـ)، قال السيوطي: «أقرأ النحو بدمشق مدة ثم بمصر، وتصدر بالجامع العتيق، وحمل الناس عنه، وصنف الألفية في النحو»[1].

- عبد الله بن يوسف بن زيدان (ت ٦٤٤ هـ).

وبعد أن قام جوهر الصقلي بأمر المعز لدين الله الفاطمي ببناء الجامع الأزهر بالقاهرة، وتم بناؤه سنة ٣٦١ هـ، وفتحت أبوابه للدرس والتدريس في العام ٣٦٥ هـ، غلبت شهرته كمكان للتدريس على ما سواه من المساجد، وغلبت حلقاته الدرسية حلقاتها كثرة وأهمية.

وممن أقرأ النحو فيه:

- أبو الحسن الحوفي (ت ٤٣٠ هـ) الذي ألف كتباً كثيرة في الأدب والنحو، منها كتابه في إعراب القرآن.

- أبو القاسم الشاطبي (ت ٥٩٠ هـ) إمام القراءات في عصره، وصاحب المنظومة الشهيرة في قراءات السبعة.

- أبو حيان الأندلسي الغرناطي (ت ٧٤٥ هـ) مؤلف التفسير النحوي الشهير بـ (البحر المحيط).

- ابن الدماميني (ت ٨٣٨ هـ) الذي تصدر فيه لإقراء النحو «ثم رجع إلى

---

(١) البغية ٣٤٤/٢.

الإسكندرية واستمر يقرىء فيها ... ودرّس أيضاً بجامع زبيد باليمن، ورحل إلى الهند ودرّس فيها »[1].

ـ بدر الدين العيني (ت ٨٥٥ هـ) الذي عمّر مدرسة بقرب الجامع الأزهر ووقف بها كتبه[2].

ـ الشيخ خالد الأزهري (ت ٩٠٥ هـ).

ـ جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ).

ـ أبو الحسن الأشموني (ت ٩٢٩ هـ) مؤلف الشرح المشهور على ألفية ابن مالك.

ـ قنبر بن محمد العجمي (ت ٨٠١ هـ).

ـ الشيخ حسن الكفراوي (ت ١٢٠٢ هـ).

ـ الشيخ محمد الشنواني (ت ١٢٣٣ هـ).

وإلى جانب الأزهر كان الجامع الناصري بالقلعة والجامع الطولوني، وممن درّس فيهما ابن عقيل (ت ٧٦٩ هـ) صاحب شرحي الألفية والتسهيل.

وجامع الحاكم الذي تم بناؤه سنة ٤٠٣ هـ، والجامع الأقمر الذي شيد عام ٥١٩ هـ، والجامع الأفخر ويعرف بالجامع الظافري أيضاً نسبة إلى الخليفة الفاطمي الظافر بنصر الله، وممن علّم النحو فيه: محمد بن عبد القوي المعروف بابن القضائي والملقب بالأخفش المولود سنة ٦٣٣ هـ.

إلى غيرها من الجوامع.

وإلى جانب الجوامع كأماكن للدراسة كانت المدارس أماكن أخرى للدرس والتدريس وطلب العلم وتحصيله.

وأول مدرسة أنشئت بمصر هي (المدرسة الناصرية) التي أشادها صلاح الدين

---

(١) البغية ٦٦/١.

(٢) البغية ٢٧٥/٢.

الأيوبي في القرن السادس الهجري، ثم تكاثر انشاء المدارس فيها حتى جاوز عددها السبعين مدرسة.

وقد ذكر كثيراً منها الجلال السيوطي في بغية الوعاة، أمثال:

ـ القطبية والخشبية، وممن درّس النحو فيها ابن عقيل.

ـ الفاضلية، التي بناها القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني سنة ٥٨٠ هـ، وممن درّس النحو فيها ابن الحاجب (ت ٦٤٦ هـ)، وأبو محمد الشاطبي.

ـ الظاهرية، وممن درّس النحو فيها: عمر بن أحمد المدلجي النشائي... وغيرها.

ومن أعلام نحاة مصر:

ـ أبو جعفر النحاس (ت ٣٣٧ هـ) الذي رحل إلى بغداد، وأخذ النحو فيها عن الأخفش الأصغر والمبرد ونفطويه والزجاج.

ـ ابن الحاجب المولود بـ (أسنا) من صعيد مصر، والذي رحل ـ بعد تلقيه العلوم الإسلامية والعربية بالقاهرة ـ إلى دمشق، ودرّس بجامعها في زاوية المالكية، ثم عاد إلى القاهرة وتصدر للتدريس في المدرسة الفاضلية ـ كما تقدم ـ، ثم انتقل إلى الإسكندرية، وفيها توفي عام ٦٤٦ هـ.

ـ ابن هشام الأنصاري (ت ٧٦١ هـ).

ـ ابن عقيل (ت ٧٦٩ هـ).

وكانت الإسكندرية مركزاً آخر من مراكز الدرس النحوي في مصر إلى جانب الفسطاط والقاهرة.

ومن درس النحو في جامعها: أبو محمد عبد الله بن حسن بن عشير العبدري، وابن الحاجب، وغيرهما.

ومن نحاة مصر المعاصرين:

ـ عبد المتعال الصعيدي (ت ١٣٧٧ هـ).

ـ إبراهيم مصطفى (ت ١٣٨٢ هـ) مؤلف إحياء النحو.

ـ عباس حسن (ت   هـ) مؤلف النحو الوافي.

ـ محمد محيي الدين عبد الحميد (ت ١٣٩٣ هـ).

ـ علي النجدي ناصيف (ت ١٤٠٣ هـ) مؤلف سيبويه إمام النحاة.

ـ محمد عبد الخالط عضيمة (ت ١٤٠٤ هـ) مؤلف دراسات لاسلوب القرآن الكريم.

ـ أستاذنا الدكتور أمين علي السيد والدكتور عبد الرحمن محمد السيد والدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبي والدكتور تمام حسان والدكتور عبد الحميد السيد طلب، والدكتور عبد الرحمن محمد أيوب والدكتور حسن عون والشيخ أحمد كحيل وغيرهم.

وفي مصر اليوم من معاهد الدراسات اللغوية والنحوية:

ـ كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر في القاهرة.

ـ كلية دار العلوم (قسم النحو والصرف) بجامعة القاهرة في القاهرة.

ـ كلية الآداب (قسم اللغة العربية وآدابها) بجامعة القاهرة في القاهرة.

ـ كلية الألسن (قسم اللغة العربية) في القاهرة.

ـ كلية الآداب (قسم اللغة العربية) بجامعة عين شمس في القاهرة.

ـ كلية الآداب (قسم اللغة العربية) بجامعة الإسكندرية في الإسكندرية.

وغيرها.

دمشق

وفي القرن الرابع الهجري امتد النحو من بغداد إلى دمشق مع أبي القاسم الزجاجي (ت ٣٣٧ هـ) عندما رحل إليها وسكنها، ودرّس فيها وانتفع الناس بعلمه.

وممن رحل إلى دمشق من نحاة بغداد وأقام فيها ودرّس النحو:

ـ الحسن بن صافي ملك النحاة (ت ٥٦٨ هـ).

ـ زيد بن الحسن الكندي (ت ٦١٣ هـ)، قال السيوطي: «قدم دمشق ونال الحشمة الوافرة والتقدم، وازدحم عليه الطلبة... وأفتى ودرّس وصنّف وأقرأ القراءات والنحو واللغة والشعر... وله خزانة كتب بالجامع الأموي، فيها كل نفيس»[١].

وكانت الدروس النحوية التي ألقاها الزجاجي على تلامذته بدمشق اللبنات الأساس للدراسة النحوية بدمشق.

ودمشق ـ هي الأخرى ـ كان مسجدها الجامع (الجامع الأموي)، والجوامع الأخرى أماكن الدرس وطلب العلم.

ومن النحاة الذين درّسوا في جامع دمشق:

ـ ابن أبي الفضائل الكلابي (ت ٥٦٢ هـ)، فقد ذكر أنه كانت له حلقة كبيرة بالجامع المذكور لإقراء القرآن والفقه والنحو.

ـ علم الدين السخاوي (ت ٦٤٣ هـ).

ـ ابن يعيش (ت ٦٤٣ هـ).

ـ ابن مالك (ت ٦٧٢ هـ) الذي «تصدر بالتربة العادلية وبالجامع المعمود، وتخرج به جماعة كثيرة»[٢].

وإلى جانب جوامع دمشق كانت مدارسها ـ هي الأخرى ـ أماكن أخرى لطلب العلم وتحصيله، ورأينا ـ فيما تقدم ـ أن أول مدرسة بنيت بدمشق المدرسة الصادرية سنة ٣٩١ هـ التي أنشأها الأمير صادر بن عبد الله، ثم تتابع بعدها بناء المدارس حتى تجاوز عددها ١٥٠.

ومنها:

ـ المدرسة الصالحية، وممن أقرأ فيها سليمان بن عبد الله الهواري الخلوتي الضرير (ت ٦١٢ هـ).

---

(١) البغية ١/٥٧٠، ٥٧١.

(٢) البغية ١/١٣٠.

ـ المدرسة الناصرية، وممن درّس النحو فيها أبو بكر بن محمد المرسي (ت ٧١٨ هـ) قال السيوطي: «وولي مشيخة الاقراء بـأمـاكـن، وتـدريس النحـو بالناصرية، وصار شيخ الاقراء والعربية بالبلد»[1].

ـ المدرستان الصدرية والضيائية، وممن درّس فيهما ابن قدامة المقدسي (ت ٧٤٤ هـ)[2].

ـ المدرسة الظاهرية، وممن درّس فيها أبو بكر بن عبد الله الحريري (ت ٧٤٧ هـ) فعن السيوطي: أنه «مهر في النحو وولي تدريس الظاهرية البرانية ومشيخة النحو بالناصرية»[3].

ـ المدرسة السلطانية التي درّس فيها النحو محمد بن علي بن طولون (ت ٩٥٣ هـ)، فقد أخذ في القاهرة على الجلال السيوطي ثم انتقل إلى دمشق، وعلّم النحو والقراءة والحديث في مدرسة السلطان سليم.

ـ المدرستان الإقبالية والشريفية، وممن درّس فيهما علي بن إسماعيل القونوي (ت ٧٢٩ هـ).

ـ المدرستان المجاهدية والأمينية، فقد جاء أن ابن أبي الكلابي ـ المتقدم ذكره ـ ممن درّس بالمدرسة المجاهدية وأعاد بالمدرسة الأمينية مضافاً إلى حلقته الكبير بالجامع الكبير.

ومن نحاة دمشق:

ـ مجد الدين محمد بن الظهير (ت ٦٠٢ هـ).

ـ ابن خطيب المنصورية (ت ٨٠٩ هـ)، وهو من شراح ألفية ابن مالك.

---

(١) البغية ١/٤٧١.

(٢) البغية ١/٢٩.

(٣) البغية ١/٤٦٩.

ـ محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن يوسف الانصاري (حفيد ابن هشام الأنصاري)، أخذ النحو والفقه عن ابن قطلوبغا والشمني، وتوفي سنة ٩٠٧ هـ.

ومن نحاتها المعاصرين:

ـ الأستاذ سعيد الأفغاني،

والأستاذ أحمد راتب النفاخ والدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا والدكتور عاصم بهجت البيطار والدكتور مازن المبارك والدكتور أسعد علي والدكتورة منى الياس.

وبلغ من اهتمام الشاميين بالنحو قديماً «أن الملك المعظم عيسى بن الملك العادل صاحب دمشق المتوفى سنة ٦٢٤ هـ يرصد لكل من يحفظ (المفصل) مكافأة من المال تقدر بمائة دينار يضاف إليها خلعة».

وفي دمشق حالياً (جامعة دمشق)، ومن أقسامها (قسم اللغة العربية) بكلية الآداب، الذي يدرس فيه اللغة العربية وآدابها بمستويات التعليم الجامعي الثلاثة: البكالوريوس والماجستير والدكتوراه.

حلب

ومع أبي علي الفارسي البغدادي دخل النحو إلى حلب، وذلك في عام ٣٤١ هـ، عندما رحل إليها أبو علي.

وراح بمفعول تشجيع الحمدانيين للعلماء ينتقل في بلاطاتهم يعقدون له مجالس المناظرة وملتقيات البحث والمناقشة.

ومن هذه انبثق الدرس النحوي المنتظم، تضمه مساجد حلب ومدارسها، شأنها في ذلك شأن بغداد ودمشق وغيرهما من مراكز الدرس النحوي.

وممن كان في هذا الوقت من نحاة البلاط الحمداني:

ـ ابن خالويه (ت ٣٧٠ هـ)، الذي قصد حلب ـ هو الآخر ـ قادماً من بغداد.

ـ الشاعر المتنبي (ت ٣٥٤ هـ) الذي قامت بينه وبين ابن خالويه أكثر من مناظرة في مجلس سيف الدولة الحمداني.

ومن مدارس حلب: المدرسة الأسدية، وممن درّس فيها عبد الله بن محمد بن أحمد الحسيني النيسابوري.

ومن نحاتها المعاصرين:
الأستاذ محمد الأنطاكي (ت ١٤٠٤ هـ).
ـ الدكتور فخر الدين قباوة.
ـ الدكتور محمد خير الحلواني.
ـ الدكتور مصطفى جطل.

ويقوم حالياً قسم اللغة العربية وآدابها بكلية الآداب في جامعة حلب بإعادة دور النشاط اللغوي لحلب.

النجف

نهضت النجف مركزاً دينياً يعني بالدراسات الإسلامية العربية منذ أن هاجر إليها أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي عام ٤٤٩ هـ قادماً من بغداد إثر دخول السلاجقة إليها.

ومن بين مواد مناهج الدراسة فيها مادة النحو.

وألمع نحاتها ظهوراً وأوسعهم شهرة وأبعدهم صيتاً الرضي الاسترآبادي (ت ٦٨٨ هـ) المعروف بـ (المحقق الرضي) والملقب بـ (نجم الأئمة) مؤلف شرح كافية ابن الحاجب المعروف بـ (شرح الرضي) وشرحُ شافية ابن الحاجب.

وقد غطت شهرته على من سواه من نحاة هذا المركز العلمي، وكفى به عمـلاق فكرٍ امتاز بالأصالة والعمق.

وتمثل منهجه في كتابه (شرح الكافية) بانتهاجه طريقة الإجتهاد التي عرفت بها النجف، ولا تزال قائمة، وتتلخص في الخطوات التالية:

١ ـ ذكر المسألة.

٢ ـ استقصاء الأقوال في المسألة وتتبع أدلتها التي ذكرها العلماء السابقون للباحث والمعاصرون له.

٣ ـ الموازنة بين الأقوال والمقارنة بين الأدلة.

٤ ـ محاكمة الأدلة ومناقشتها.

٥ ـ إختيار الدليل الناهض بالإثبات، أو إضافة الدليل القائم بالحجة.

٦ ـ النتيجة بتأكيد الرأي المختار أو بتدعيم الرأي الجديد.

٧ ـ بيان الإضافات الجديدة.

وقد أشار الرضي في مقدمة شرحه للكافية وفي خاتمته أيضاً إلى سكناه النجف الأشرف، وتأليفه الشرح المذكور فيها، قال في المقدمة: «وبعدُ، فقد طلب إليّ بعض من أعتني بصلاح حاله، وأسعفه بما تسعه مقدرتي من مقترحات آماله، تعليق ما يجري مجرى الشرح على مقدمة ابن الحاجب عند قراءتها عليّ، فانتدبت له مع عوز ما يحتاج إليه الغائص في هذا اللج، والسالك لمثل هذا الفج، من الفطنة الوقادة، والبصيرة النقادة، بذلاً لمسؤوله، وتحقيقاً لمأموله، ثم اقتضى الحال بعد الشروع، التجاوز عن الأصول إلى الفروع، فإن جاء مرضياً فببركات الجناب المقدس الغروي، صلوات الله على مشرفه، لاتفاقه فيه، وإلاّ فمن قصور مؤلفه فيما ينتحيه».

وقال في الخاتمة: «هذا آخر شرح المقدمة، والحمد لله على إنعامه، وإفضاله بتوفيق إكماله، وصلواته على محمد وكرام آله.

وقد تم تمامه، وختم اختتامه، في الحضرة المقدسة الغروية، على مشرفها أفضل تحية ربِّ العزة وسلامه، في شوال سنة ست وثمانين وستمائة».

ذلك لأن (الجناب المقدس الغروي) كما في المقدمة، أو (الحضرة المقدسة الغروية) كما في الخاتمة، هو مشهد الإمام علي (رض)، وهذا لأن النجف تسمى بـ (الغري) أيضاً.

وجاءت تسمية مدينة النجف التي تضم مرقد الإمام علي (رض) بـ (الغري)، ـ ومثناه (الغريّان) ـ لأنها تقع قرب (الحيرة) التي كانت قاعدة ملك المناذرة، في موقع كان فيه الغرّيان، وهما ـ كما تنص المعاجم اللغوية والجغرافية أو البلدانية التي ذكرتها ـ قبرا مالك وعَقيل نديمي جَذيمة الأبرش، جاء في (لسان العرب: مادة: غرا) ما نصه: «وكل بناء حسن غري، والغريان المشهوران بالكوفة منه، حكاها سيبويه، أنشد ثعلب:

لـــو كـــان شـــيء لـــه أن يبيـــدَ على
طـــول الزمـــان لـمـا بـــادَ الغـــرّيـــانِ

قال ابن بري: وأنشد ثعلب:

لـــو كـــان شـــيء أبى أن لا يبيـــدَ على
طـــول الزمـــان لـمـا بـــادَ الغـــريـــانِ

قال: وهما بنـاءان طويلان، يقال: هما قبرا مالك وعقيل نديمي حذيمة الأبرش.

وسميا (الغريين) لأن النعمان بن المنذر كان يغريّهما بدم من يقتله في يوم بؤسه، قال خطام المجاشعي:

أهلْ عـرفـت الدار بـالغـريينْ لم يبـقَ مـن آيٍ بها يحليّـنْ
غيـر خطـامٍ ورمـاد كنفينْ وصـاليـات ككـمـا يـؤثفينْ»

ذكرت هذا لأشير إلى مفارقة وقع فيها أكثر من مؤرخ ممن أرخ لسيرة الرضي، حيث وهموا أم مراده من (الحضرة الغروية) المدينة المنورة فنسبوه إليها، ومن هؤلاء الشيخ محمد الطنطاوي، فقد جاء في كتابه (نشأة النحو) في ترجمته للرضي ما نصه: «هو محمد بن الحسن نجم الملة والدين الأستراآبادي، هجر بلاد المشرق وأقام بالمدينة المنورة وألف شرحه على الكافية لابن الحاجب في النحو»[1].

ومضافاً إلى ما تقدم، فإنه لم تحدثنا كتب التاريخ أو غيرها أن المدينة المنورة سميت يوماً بالغري، وفي الوقت الذي تنص تلكم المصادر على أن النجف عرفت وسميت بالغري ولا تزال تعرف وتسمى به[2]

ومن نحاة النجف المتأخرين:

- محمد علي بشارة (ت ١١٨٨ هـ).
- صادق الفحام (ت ١٢٠٤ هـ).
- طاهر بن عبد العلي الحجامي - بالجيم الفارسية - Ch.
- محمد الجواد الجزائري (ت ١٣٧٨ هـ) مؤلف (نقد تيسير العلوم العربية).
- عبد المهدي مطر، وله (دراسات في قواعد اللغة العربية).
- محمد علي الأفغاني المعروف بالمدرس.
- الدكتور مصطفى جمال الدين.
- الدكتور زهير غازي زاهد.
- الدكتور جعفر الكريم.
- الأستاذ صالح الظالمي.

---

(١) ٢٤٤.

(٢) لمعرفة هذا يراجع أمثال: ماضي النجف وحاضرها لجعفر محبوبه، وفرحة الغري لابن طاووس الحلي.

اليمن

جاء في ترجمة إسحاق بن إبراهيم الفارابي (ت نحو ٣٥٠ هـ) صاحب (ديوان الأدب)، «قال القفطي: كان ممن ترامى به الإغتراب إلى أرض اليمن وسكن زبيد، وبها صنف كتابه المذكور»[(١)]، يعني ديوان الأدب.

فقد تكون نواة الفكر النحوي بذرت في اليمن منذ القرن الرابع الهجري بتأثير الفارابي الذي هبط إليها من فاراب، وراء نهر سيمون، إلاّ أنها لم تبسق ولم تفرع إلا في القرن الخامس الهجري على يد كل من:

ـ عيسى بن إبراهيم الربعي (ت ٤٨٠ هـ) مؤلف (نظام الغريب)، قال فيه الحبشي: «من أهل أحاظه باليمن، كان على رأس علماء اللغة في اليمن، وإليه يرحل الطلبة من كل صوب»[(٢)].

ـ معاصره الحسن بن إسحاق المعروف بابن أبي عباد (ت على رأس ٥٠٠ هـ)، وفيه «قال الخزرجي: إمام النحاة في قطر اليمن، وإليه كانت الرحلة في علم النحو، وإلى ابن أخيه إبراهيم»[(٣)].

وربما كان للصلة القريبة بين بلاد اليمن وبلاد الحجاز، وبخاصة حاضرة مكة المكرمة التي كانت مقصد الكثير من أبناء اليمن لطلب العلم، أن يمتد النحو إليها من مكة المكرمة، ويشيعه خريجو المسجد الحرام في ربوع اليمن.

وذكر الأستاذ الحبشي في كتابه (مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن)

---

(١) البغية ١/٤٣٧.

(٢) مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن ٣٦٨.

(٣) البغية ١/٥٠٠.

من نحاة اليمن ستين ومئة ناحٍ ، مقتصراً على نحاة القطر المعروف حالياً باليمن الشمالي ، منهم:

- أحمد بن محمد الأشعري (ت ٥٥٨ هـ).
- علي بن سليمان المعروف بابن حيدره (ت ٥٥٩ هـ).
- محمد بن حمزة بن أبي النجم (ت ٦٥٦ هـ).
- محمد بن الحسن الصمعي (ت ٦٧٧ هـ)، الذي درس بالمدرسة المنصورية بزبيد.
- محمد بن علي بن يعيش (ت ٦٨٠ هـ)، له شرح المفصل.
- أحمد بن عثمان بن أبي بكر بصيص (ت ٧٦٨ هـ) شيخ النحو بمدينة زبيد ، وإليه انتهت رئاسته.
- محمد بن حمزة مظفر (ت ٧٩٦ هـ) له شرح مقدمة ابن بابشاذ.

وغيرهم.

يضاف إليهم: محمد موسى بن محمد الدوالي الصريفي (ت ٧٩٠ هـ)، له (الرد على النحاة) ذكره السيوطي في البغية ٢٥٢/١ ، ولم يذكره الحبشي في كتابه المصادر.

ومن نحاة اليمن الجنوبي في هذه الحقبة:

- أحمد عبد الله القريطي (ت ٥٨٤ هـ) بعدن.
- أبو القاسم بن علي الهمداني (ت ٧٠٣ هـ) بعدن أيضاً.

وممن أقرأ النحو بعدن: محمد بن حجاج الحضرمي المعروف بابن مطرف الأشبيلي (ت ٧٠٦ هـ): «قال الفاسي: ولد في سنة ثمان عشرة وستمائة، وحج وسمع ابن مسدي، وعاد إلى الإسكندرية، ثم إلى مكة، ثم إلى عدن، وأقرأ بها النحو ، وعاد إلى مكة فأقام بها إلى أن مات، وكان قد قرأ النحو على الشلوبين، وكان يحفظ كتاب سيبويه، وله تقييد على جمل الزجاجي»[1].

---

(١) البغية ٧٤/١.

وكان أهم حواضر العلم في اليمن: صنعاء. تعز. زبيد. صعدة. شهاره. حوث. كوكبان. عدن. تريم حضرموت. لحج.

ومن المدارس التي عرفت بعقد حلقات الدرس فيها:

- المجاهدية والغرابية والمظفرية الكبرى والمؤيدية بتعز.
- المنصورية والنظامية والصلاحية والعفيفية بزبيد.
- الشمسية بذمار.

ومن أشهر المدارس العلمية مؤخراً: المدرسة العلمية بصنعاء (وقد تسمى بدار العلوم) التي افتتحت عام ١٣٤٤ هـ من قبل الإمام يحيى.. وقد مثّلت في مناهجها وقيام الدولة بالإشراف والإنفاق عليها النقلة التعليمية من مرحلة الدراسة الجوامعية إلى مرحلة الدراسة الجامعية.

هذا مضافاً إلى المساجد الكبرى أمثال: جامع صنعاء الكبير وجامع زبيد والجامع الهادي بصعدة.

واليوم تقوم في صنعاء العاصمة جامعة صنعاء، وفيها كلية الآداب التي تشتمل على قسم خاص للغة العربية علومها وآدابها.

الحلة

الذي يظهر من تاريخ سير النحاة الحليين أن النحو انتقل إليها من بغداد، وفي القرن السادس الهجري، فقد ذكر أن محمد بن علي بن أحمد الحلي المعروف بابن حُميدة (ت ٥٥٠ هـ) قرأ على ابن الخشاب (ت ٥٦٧ هـ) ببغداد ولازمه حتى برع في النحو «وصنف كتباً منها: شرح أبيات الجمل، وشرح اللمع، وشرح المقامات، وكتاب في التصريف، والروضة في النحو، والأدوات، والفرق بين الضاد والظاء»[1].

---

(١) البغية ١/١٧٣.

كما ذكر أن محمد بن أحمد بن حمزة الحلي الملقب بشرف الكتاب (ت ٥٧٩ هـ) قرأ على ابن الخشاب وابن الشجري ببغداد [١].

وذكر أيضاً أن شُمياً الحلي (ت ٦٠١ هـ) تعلم النحو في بغداد، ومن مؤلفاته (المخترع في شرح اللمع).

وكذلك ذكر أن علي بن محمد بن محمد بن علي بن السكون (ت حدود ٦٠٦ هـ) قرأ ببغداد على ابن الخشاب.

وذكر في ترجمة محمد بن علي الحلي المعروف بابن الخيمي (ت ٦٤٢ هـ) أنه أخذ في بغداد على ابن الخشاب وابن الأنباري وابن القصاد.

ويبدو أن هؤلاء كانوا الرواد الذين غرسوا بذرة الدرس النحوي في الحلة حتى أصبحت مركزاً من مراكزه.

ومن نحاة الحلة:

- أبو الفتوح نصر بن علي بن منصور المعروف بابن الخازن (ت ٦٠٠ هـ).
- نجيب الدين يحيي بن أحمد الهذلي (ت ٦٨٩ هـ).
- غياث الدين عبد الكريم بن أحمد بن طاووس (ت ٦٩٣ هـ)، الذي درس على ابن إياز (ت ٦٨١ هـ) ببغداد.
- جمال الدين الحسن بن يوسف المعروف بالعلامة الحلي (ت ٧٢٦ هـ)، له، (بسط الكافية) في اختصار شرح الكافية.
- الشيخ أحمد النحوي (ت ١١٨٣ هـ)، له: أراجيز في العربية والبلاغة.
- السبد سليمان الصغير (ت ١٢٤٧ هـ) له: أرجوزة في العربية سماها (نظم الجمل)، وحاشية على شرح الفاكهي سماها (الدرر الحليّة في إيضاح غوامض العربية).
- محمد بن الحسن القزويني (ت ١٣٠٠ هـ)، له: شرح على ألفية ابن مالك.

(١) البغية ١/٢٣ وجاء فيها (الحلبي) بالباء الموحدة تحريفاً.

وغير هؤلاء.

وقد كان ازدهار الحركة العلمية في الحلة منذ القرن السادس الهجري حتى نهاية القرن الثامن الهجري، ثم بدأت بالضمور حتى انحسرت، ولعل هذا بسبب قربها من النجف الأشرف، وتمركز الدراسة في النجف.

أوربا

يقول الأستاذ سليمان[1]: «واتصلت إيطاليا منذ القدم بالشرق اتصالاً وثيقاً متنوع الجوانب، وحظيت فيها اللغة العربية واللغات الشرقية بحظ وافر من الترجمة والحفظ والتعليم والنشر.

وقد عنيت الجامعات الإيطالية بالدراسات العربية والإسلامية منذ القرن الحادي عشر (الميلادي) في جامعات روما ونابولي وفلورنسا وبادوى، ولا زال هذا الإهتمام موجوداً حتى وقتنا الحاضر».

ولأننا نعلم أن سقوط قرطبة العربية كان في سنة ١٢٣٦ م أي في القرن الثالث عشر الميلادي، وسقوط دولة غرناطة العربية كان في سنة ١٤٩٢ م أي في القرن الخامس عشر الميلادي، يأتي من المستقرب جداً أن يكون النحو وما إليه من مواد العربية قد امتد في القرن السادس الهجري من الأندلس إلى إيطاليا، ومنها نحا نحو بريطانيا وفرنسا وهولندا، ثم انتشر في القرن التاسع عشر الميلادي في الجامعات الأوربية الأخرى التي ستذكر اسماؤها بعد قليل.

ومما ذكره الأستاذ سليمان في مقاله الملمح إليه في الهامش من مراكز علمية تدرس فيها اللغة العربية ما يلي:

---

(١) الدراسات العربية في الجامعات العالمية، حسن حسن سليمان، مجلة الخنجي العدد ٨ السنة ١١ شهر المحرم ١٤٠٢ هـ - نوفمبر ١٩٨١ م.

(في إيطاليا):
- معهد الدراسات الشرقية - كلية الآداب - جامعة روما.
- المعهد البابوي للدراسات الشرقية بروما.

(في بريطانيا):
- جامعة اكسفورد، بدأ درس العربية فيها منذ سنة ١٣١١ م.
- جامعة كمبردج، بدأ درس العربية فيها منذ سنة ١٦٣٣ م.
- جامعة لندن، بدأ درس العربية فيها منذ سنة ١٨٢٨ م.
- جامعة درهام.
- جامعة فيكتوريا.
- جامعة ليدز.
- جامعة ويلز.
- جامعة ليفربول.
- جامعة سانت أندروز.
- جامعة جلاسجو.
- جامعة أدنبره.
كلية ترينيتي - دبلن.
- مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية - لندن.
- وأضيف إليها:
- جامعة مانجستر.
- جامعة اكستر.
- (في فرنسا):
- جامعة باريس، بدأ درس العربية فيها منذ سنة ١٣١١ م.
- معهد فرنسا - باريس.
- جامعة بوردو - معهد آداب اللغة العربية والتمدن الإسلامي.
- جامعة ليون.

وأضيف إليها :

ـ جامعة إكس أون بروڤونس.

ـ جامعة بيزن سون.

ـ جامعة مونبليه.

(في النمسا) :

ـ جامعة ڤينا ، بدأت الدراسات العربية والإسلامية فيها منذ منتصف القرن السادس عشر.

ـ جامعة جراتس.

ـ جامعة وانسبروك.

(في السويد والنروج) :

« كانت جامعة أوبسالة ـ وهي أقدم جامعات السويد وأكبرها ـ أول ما درس العربية فيها ، وذلك منذ القرن السابع عشر الميلادي.

وتعنى جامعات لوند وأوسلو وجوتنبورج بالدراسات العربية ضمن عنايتها باللغات السامية ».

(في هولندا) :

ـ جامعة ليدن ، بدأ درس العربي فيها منذ عام ١٦١٣ م.

ـ جامعة أمستردام

ـ جامعة أوترخت.

ـ المعهد الشرقي لدراسة الشرق والإسلام.

ـ المعهد الهولندي لآثار وفقه لغات الشرق الأدنى.

(في بلجيكا) :

ـ جامعة بروكسل ، بدأ تدريس العربية فيها منذ ١٨٣٤ م.

ـ معهد الألسن والتاريخ الشرقي بجامعة بروكسل.

ـ جامعة لييبج.

(في فنلندا) :

ـ جامعة هلسنكي ، بدأ درس العربية فيها منذ منتصف القرن التاسع عشر .

(في تشيكوسلوفاكيا) :

ـ جامعة تشارلس ببراغ .

(في يوغسلافيا) :

ـ جامعة بلغراد .

(في المجر) :

ـ جامعة يوجيف اتيلا .

ـ جامعة بودابست ـ المعهد الشرقي .

ـ جامعة بودابست ـ معهد آسيا .

(في المانيا) :

« إزدهرت الدراسات العربية والشرقية في المانيا بعد الحرب العالمية الثانية في جامعات :

ـ برلين .

ـ بون .

ـ فرانكفورت .

ـ هامبورج .

ـ ليبزج .

ـ كولن .

ـ هاله .

ـ كييل .

ـ هايد لبرج .

ـ مونستر .

(في الدانمارك) :

ـ جامعة كوبنهاجن .

(في بولونيا) :
- جامعة فرسوفيا .
- جامعة كراكوفيا .

وقد ألف الكثير من المستشرقين في المادة النحوية العربية ، ويستطيع القارىء الكريم معرفة أسماء مؤلفاتهم في هذه المادة بالرجوع إلى كتابنا (فهرست الكتب النحوية المطبوعة) .

الهند

ذكر السيد عبد الحي الحسني في كتابه (الثقافة الإسلامية في الهند) أن الدراسة الإسلامية العربية بدأت في بلاد الهند القرن السابع الهجري .

وأهم المدن التي كانت مراكز للدراسة الإسلامية العربية : ملتان . لاهور . دهلي . گجرات . جَوْ نپور . لكنهؤ .

وممن قصد گجرات أيام إزدهار العلم والتعلم فيها ابن الدماميني (ت ٨٣٨ هـ) - كما مر فيما تقدمه من حديث عن الدراسة بمصر - ، والخطيب الكازروني ، والعماد الطارمي ، ودرّسوا فيها وتخرج بهم جماعة كبيرة .

وسرد الحسني في كتابه المذكور من الصفحة العشرين إلى الصفحة الثالثة والعشرين أسماء مصنفات أهل الهند في النحو ، فعدَّ أكثر من ثمانين مصنفاً ، مع ذكر أسماء مؤلفيها .

ومن المؤلفين الذين أرّخ لوفياتهم :
- إسحاق الدهلوي (ت ٦٩٠ هـ) .
- فخر الدين الزرادي (ت ٧٣٨ هـ) .
- كبير الدين الناگوري (ت ٨٥٨ هـ) .
- محمود بن محمد الدهلوي (ت ٨٩١ هـ) .
- جمال الدين بن نصير الدين الدهلوي (ت ٩٨٣ هـ) .

ـ جمال الدين بن ركن الدين الگجراتي (ت ١١٢٤ هـ).
ـ أحمد بن مسعود الحسيني الهرگامي (ت ١١٧٥ هـ).
ـ شمس الدين بن أمير الدين الحيدر آبادي (ت ١٢٨٣ هـ).

والذي يظهر من تاريخ الحضارة الإسلامية في الهند أن النحو العربي امتد، إلى بلاد الهند من خراسان بفارس.

ولعل ذلك لقرب المسافة بين البلادين، ولقيام الإتصال الحضاري والإجتماعي بين مجتمعاتها.

ولا تزال الدراسة الإسلامية العربية المسجدية قائمة حتى الآن في باكستان والهند وبنغلادش، في أكثر من حاضرة من حواضرها.

كما تقوم في بلدان الهند حالياً الجامعات التي تحتوي مناهجها دراسة العربية أمثال:

ـ جامعة عليگرة الإسلامية في الهند.
ـ الجامعة العثمانية في حيدر آباد بالهند.
ـ جامعة البنجاب في لاهور بباكستان.
ـ جامعة كراتشي بباكستان.
ـ جامعة مدراس في باكستان.

بلاد الروم

ومن دمشق وحلب ـ بحكم الإتصال الجغرافي والإجتماعي ـ امتد النحو إلى بلاد الروم ـ المعروفة حالياً بتركيا ـ، وكان ذلك في القرن الثامن الهجري.

وكانت بروصة وأدرنة والقسطنطينية وكوتاهية من مراكز درسه، لأنها كانت حواضر الدراسة الإسلامية العربية، وفيها أنشئت المدارس لذلك، أمثال:

ـ المدرسة الجامعية في أدرنة.

ـ مدرسة الأمير حمزة في بروصة.

ـ مدرسة ابن ولي الدين في بروصة أيضاً.

ـ مدرسة رستم باشا في كوتاهية.

ـ مدرسة الفناري في قسطنطينية.

وممن قدم إلى بلاد الروم من نحاة وأقرأ فيها:

ـ علي بن أسمح البعقوبي الملقب بمتّ (ت ٧١٠ هـ) الذي «أخذه التتار من بعقوبة صغيراً واشتغل وتميز وسكن الروم وولي مشيخة دار الحديث بها وهو شاب، وفارق الروم وأقام بدمشق للإفادة»[١].

حيدرة الشيرازي الرومي (ت بعد ٨٢٠ هـ)، قال السيوطي: «أخذ عن التفتازاني، وشرح الإيضاح للقزويني شرحاً ممزوجاً، وقدم الروم وأقرأ»[٢].

ـ محمد المغربي الأندلسي (ت ٨٤٠ هـ) الذي «أقام بجماة مدة وولي قضاءها، ثم توجه إلى الروم فأقام بها، وأقبل عليه الناس، مات ببرصا في شعبان سنة أربعين وثمانمائة»[٣]

ـ علي بن عيسى الفهري (٨١٩ هـ)، أقرأ في بورصة.

ـ محمد بن حمزة الرومي (ت ٨٣٤ هـ) أقرأ ببورصة.

ومن نحاة الروم:

ـ محمد النكساري (ت ٩٠١ هـ).

ـ إبراهيم بن حسن الشيشري (ت ٩١٥ هـ).

ـ محمد البردعي (ت ٩٢٧ هـ).

---

(١) البغية ١٤٨/٢.

(٢) البغية ٥٤٩/١.

(٣) البغية ٢٩٠/١.

ومن مشاهير نحاتهم:

ـ أحمد بن سليمان المعروف بـ (ابن كمال باشا) المتوفى سنة ٩٤٠ هـ، درّس في أدرنة والقسطنطينية، وله (أسرار النحو).

ـ محمد بن بيرعلي المعروف بيركلي أو بركوي (ت ٩٨١ هـ)، أصله من قصبة (بالي كسرى)، ودرس في قصبة (بركي) فنسب إليها [١]، من أشهر مؤلفاته: اظهار الأسرار والعوامل.

ـ مصطفى بن حمزة الاطه وي أو الآطه لي (وتلفظ أَضَلي)، له: نتائج الأفكار شرح إظهار الأسرار، إنتهى من تأليفه سنة ١٠٨٥ هـ.

روسيا

وفي بلاد الروس تقوم أكثر من جامعة تدريس فيها العربية، أمثال:

ـ جامعة خاركوف، بدأ درس العربية فيها منذ عام ١٨٠٥ م.
ـ جامعة قازان، بدأ درس العربية فيها منذ عام ١٨٠٧ م.
ـ جامعة موسكو ـ معهد الألسن، وأنشىء عام ١٨١١ م.
ـ جامعة بطرسبورج ـ كلية اللغات الشرقية.
ـ جامعة طاشقند.

أمريكا

وأشهر الجامعات الأمريكية التي تعنى بتدريس العربية هي:
ـ جامعة هارفاد في كمبردج.
ـ جامعة برنستون.

---

(١) الأعلام ٦/٦١ ط ٤.

- جامعة كولومبيا في نيويورك.
- جامعة ييل.
- جامعة ميتشغن.
- جامعة كاليفورنيا.
- جامعة جونزهويكنز.

الجامعات العربية

وما سوى ما ذكرت من الجامعات العربية فيما تقدمه، هناك جامعات عربية أخرى تشتمل على أقسام للغة العربية، فتشكل بدورها مراكز لدرس العربية، منها:

١ ـ الجامعة الأردنية ـ عمّان ـ الأردن.
٢ ـ جامعة اليرموك ـ أربد ـ الأردن.
٣ ـ الجامعة اللبنانية ـ بيروت ـ لبنان.
٤ ـ معهد الدراسات الإسلامية ـ صور ـ لبنان.
٥ ـ الجامعة الأمريكية ـ بيروت ـ لبنان.
٦ ـ جامعة القديس يوسف ـ بيروت ـ لبنان.
٧ ـ جامعة تشرين ـ اللاذقية ـ سورية.
٨ ـ جامعة المستنصرية ـ بغداد ـ العراق.
٩ ـ جامعة الملك سعود ـ الرياض ـ المملكة العربية السعودية.
١٠ ـ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ـ الرياض ـ السعودية.
١١ ـ جامعة الملك عبد العزيز ـ جدة ـ المملكة العربية السعودية.
١٢ ـ جامعة أم درمان الإسلامية ـ الخرطوم ـ السودان.
١٣ ـ جامعة الخرطوم ـ الخرطوم ـ السودان.
١٤ ـ جامعة القاهرة فرع الخرطوم ـ الخرطوم ـ السودان.

١٥ ـ جامعة أسيوط ـ أسيوط ـ مصر.
١٦ ـ جامعة أسيوط ـ المنيا ـ مصر.
١٧ ـ جامعة أسيوط ـ سوهاج ـ مصر.
١٨ ـ جامعة الزقازيق ـ الزقازيق ـ مصر.
١٩ ـ جامعة طنطا ـ طنطا ـ مصر.
٢٠ ـ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ـ أبها ـ السعودية.
٢١ ـ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ـ القصيم ـ السعودية.
٢٢ ـ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ـ الإحساء ـ السعودية.
٢٣ ـ جامعة الملك سعود ـ أبها ـ السعودية.
٢٤ ـ جامعة أم القرى ـ الطائف ـ السعودية.
٢٥ ـ جامعة الملك عبد العزيز ـ المدينة المنورة ـ السعودية.
٢٦ ـ جامعة الكويت ـ الكويت.
٢٧ ـ جامعة الإمارات العربية المتحدة ـ العين ـ الإمارات العربية المتحدة.
٢٨ ـ كلية الآداب ـ المنامة ـ البحرين.
٢٩ ـ جامعة قطر ـ الدوحة ـ قطر.
٣٠ ـ جامعة بيرزيت ـ فلسطين.
٣١ ـ جامعة بيت لحم ـ فلسطين.
٣٢ ـ جامعة النجاح ـ فلسطين.
٣٥ ـ كلية الآداب ـ نواكشوط ـ موريتانيا.

أفريقيا (غير العربية)

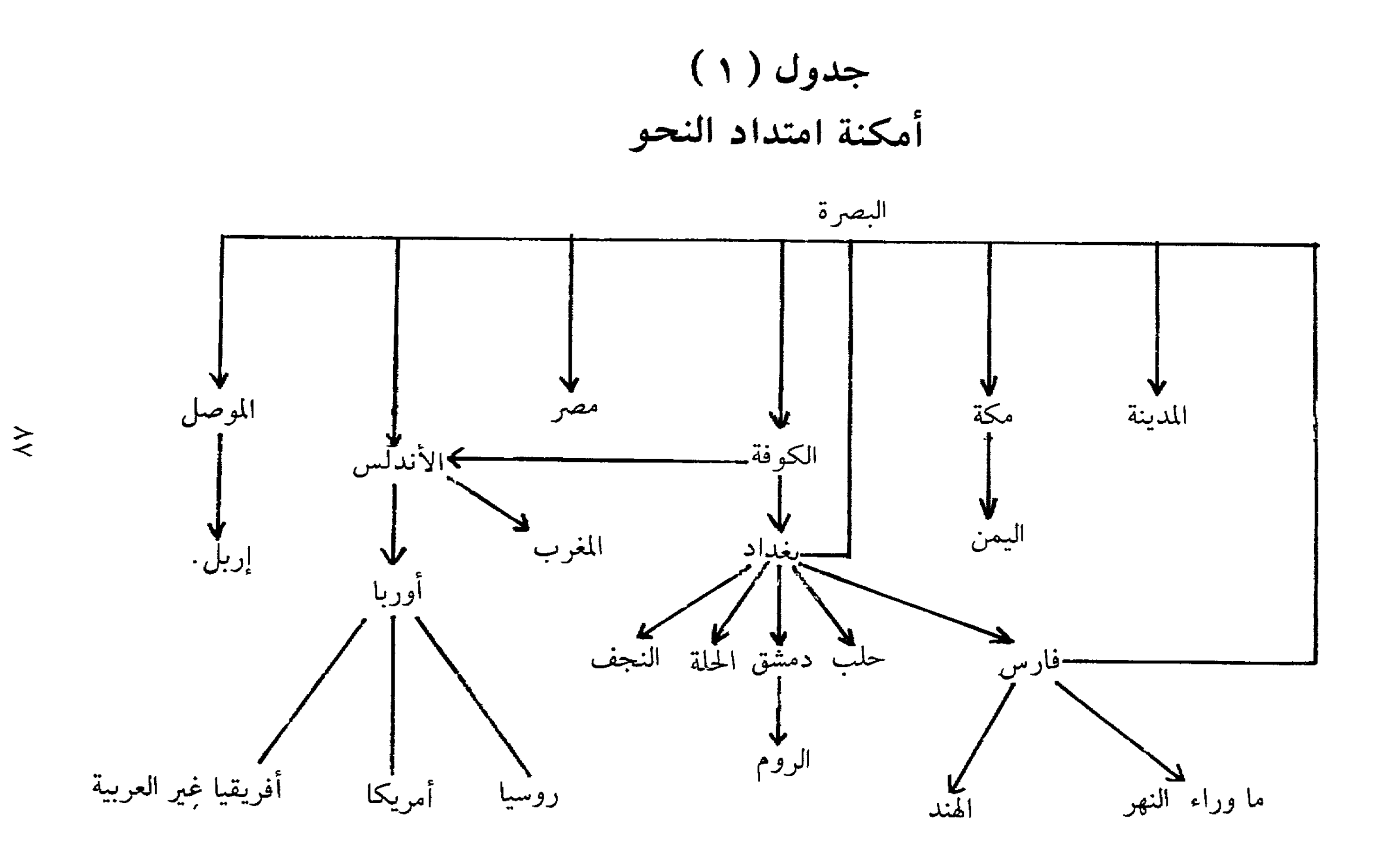
ولا ننسى أن نشير هنا إلى أن هناك في أفريقيا وفي العديد من جامعاتها توجد أقسام للغة العربية، كما في جامعات نيجيريا التالية:

ـ جامعة صوكوتو ـ صوكوتو.
ـ جامعة بايرو ـ كانو.

- جامعة أبادن - أبادن .
- جامعة أحمد بلّو - زاريا .
- جامعة ماي دوغري - ماي دوغري .

وقد يكون دخول درس العربية الجامعات الإفريقية جاء عن طـريق التأثر بالجامعات الأوربية منهجاً ومواد .

جدول (١)
أمكنة امتداد النحو



جدول (٢)
أزمنة امتداد النحو

المركز	القرن الهجري	المركز	القرن الهجري
البصرة	الأول	اليمن	الخامس
مكة	الأول	الحلة	السادس
المدينة	الأول	أوربا	السادس
الكوفة	الثاني	الهند	السابع
بغداد	الثاني	الروم	الثامن
الموصل	الثاني	روسيا	الرابع عشر
إربل	الثاني	أمريكا	الرابع عشر
الاندلس	الثاني	أفريقيا غير العربية	الرابع عشر
المغرب	الثاني		
فارس	الثاني		
ما وراء النهر	الثاني		
مصر	الثالث		
دمشق	الرابع		
حلب	الرابع		
النجف	الخامس		

المراجع

١ - ابن عصفور والتقريب، د. فخر الدين قباوة، بيروت ١٤٠١ هـ.

٢ - ابن كيسان النحوي، د. محمد إبراهيم البنا، القاهرة ١٣٩٥ هـ.

٣ - أبو البركات بن الأنباري، د. فاضل صالح السامرائي، بغداد ١٣٩٥ هـ.

٤ - أخبار النحويين، ابن أبي هاشم، القاهرة ١٤٠١ هـ.

٥ - أخبار النحويين البصريين، أبو سعيد السيرافي، القاهرة ١٣٧٤ هـ.

٦ - الأشباه والنظائر في النحو، جلال الدين السيوطي، القاهرة ١٣٩٥ هـ.

٧ - الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، القاهرة ١٣٢٣ هـ.

٨ - الأعلام، خير الدين الزركلي، بيروت ١٩٧٩ م ط ٤.

٩ - أعيان الشيعة، الأمين العاملي، دمشق ١٩٤٩ م.

١٠ - الأغاني، أبو الفرج الأصبهاني، مصورة ط دار الكتب.

١١ - الإقتراح، جلال الدين السيوطي، القاهرة ١٣٩٦ هـ.

١٢ - إنباه الرواة على أنباه النحاة، جمال الدين القفطي، القاهرة ١٣٥٠ هـ.

١٣ - أول كتاب في نحو العربية، د. حسن عون، مجلة كلية الآداب - جامعة الإسكندرية ١٩٥٨ م.

١٤ - الإيضاح، أبو القاسم الزجاجي، بيروت ١٣٩٣ هـ ط ٢.

١٥ - البداية والنهاية، ابن كثير، القاهرة ١٩٣٢ م.

١٦ - البصائر والذخائر، أبو حيان التوحيدي، بغداد ١٩٥٤ م.

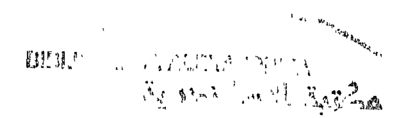
١٧ - بغية الوعاة، جلال الدين السيوطي، القاهرة ١٣٨٤ هـ.

١٨ - تاريخ الأدب العربي، أحمد حسن الزيات، بيروت - ط ٢٦.

١٩ ـ تاريخ التعليم في الأندلس، د. محمد عبد الحميد عيسى، القاهرة ١٩٨٢ م.
٢٠ ـ تاريخ العلماء النحويين، أبو المحاسن التنوخي، الرياض ١٤٠١ هـ.
٢١ ـ تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، السيد عبد العزيز سالم، بيروت ١٩٦٣ م.
٢٢ ـ تاريخ النحو وأصوله، د. عبد الحميد السيد طلب، القاهر .
٢٣ ـ تحقيق التراث، عبد الهادي الفضلي، جدة ١٤٠٢ هـ.
٢٤ ـ تطور الدرس النحو، د. حسن عون، القاهرة ١٩٧٠ م.
٢٥ ـ الثقافة الإسلامية في الهند، السيد عبد الحي الحسنى، دمشق ١٣٧٧ هـ.
٢٦ ـ الحلقة المفقودة في تاريخ النحو العربي، د. عبد العال سالم مكرم، الكويت ١٩٧٧ م.
٢٧ ـ حلية الأولياء، أبو نعيم الأصبهاني، القاهرة ١٣٥١ هـ.
٢٨ ـ خزانة الأدب، عبد القادر البغدادي، مصورة ط بولاق.
٢٩ ـ دار العلوم (المدرسة العلمية)، عبد الله البردوني، مجلة الإكليل العدد الثاني والثالث ـ السنة الثانية ١٤٠٣ هـ.
٣٠ ـ الدراسات العربية في الجامعات العالمية، حسن حسن سليمان، مجلة الخفجي، العدد ٨ ـ لسنة ١١ ـ المحرم ١٤٠٢ هـ.
٣١ ـ دليل الجامعات العربية، إصدار إتحاد الجامعات العربية: الأمانة العامة ١٩٧٦ م.
٣٢ ـ الزجاجي، د. مازن المبارك، دمشق ١٣٧٩ هـ.
٣٣ ـ سيبويه إمام النحاة، أ. علي النجدي ناصف، القاهرة ١٩٧٩ م ط ٢.
٣٤ ـ سيبويه إمام النحاة في آثار الدارسين، أ كوركيس عواد، بغداد ١٣٩٨ هـ.
٣٥ ـ شذرات الذهب، ابن العماد الحنبلي، القاهرة ١٣٥٠ هـ.

٣٦ - شرح ديوان الحماسة، التبريزي، دمشق.
٢٧ - الشعر والشعراء، ابن قتيبة، مصورة ط القسطنطينية.
٣٨ - صبح الأعشى، القلقشندي، القاهرة ١٣٣١ هـ.
٣٩ - الصواعق المحرقة، ابن حجر، بيروت ١٤٠٣ هـ.
٤٠ - طبقات الشعراء، ابن سلام، بيروت ط اللجنة الجامعية.
٤١ - طبقات النحويين واللغويين، الزبيدي، القاهرة ١٩٥٤ م.
٤٢ - العقد الفريد، ابن عبد ربه، القاهرة ١٩٤٦ م.
٤٣ - غاية النهاية، ابن الجزري، القاهرة ١٣٥١ هـ.
٤٤ - الفاضل، للبرد، القاهرة ١٣٧٥ هـ.
٤٥ - فجر الإسلام، أحمد أمين، ط ٦.
٤٦ - الفهرست، ابن النديم، بيروت ١٣٩٨ هـ.
٤٧ - فهرست الكتب النحوية المطبوعة، عبد الهادي الفضلي (مخطوطة المؤلف).
٤٨ - الكواكب السائرة، الغزي، بيروت.
٤٩ - لحن العامة، الزبيدي، الكويت ١٩٦٨ م.
٥٠ - لمع الدولة، ابن الأنباري، دمشق ١٩٧٩ م ط ٢.
٥١ - مجالس العلماء، الزجاجي، الكويت ١٩٦٢ م.
٥٢ - المختصر من كتاب نشر النور والزهر لأبي الخير، إختصار محمد سعيد العامودي وأحمد علي، مكة ١٣٩٨ هـ.
٥٣ - مدرسة البصرة النحوية، أ. كمال إبراهيم (محاضرات أملاها على طلبة ماجستير اللغة العربية بجامعة بغداد ٦٦ - ١٩٦٧ م (مخطوطتي الخاصة).
٥٤ - المدرسة النحوية في مصر والشام، د. عبد العال سالم مكرم، دار الشروق ١٤٠٠ هـ.
٥٥ - مرآة الجنان، اليافعي حيدر آباد ١٣٢٧ هـ.

٥٦ ـ مراتب النحويين، أبو الطيب اللغوي، القاهرة ط ٢.
٥٧٧ ـ المراجعات، شرف الدين، بيروت: م الأهلية.
٥٨ ـ المزهر، جلال الدين السيوطي، القاهرة: عيسى الحلبي.
٥٩ ـ مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن، عبد الله محمد الجشي، صنعاء: مركز الدراسات اليمنية.
٦٠ ـ معجم الأدباء، ياقوت الحموي، القاهرة ١٩٣٦ م.
٦١ ـ مفتاح السعادة، طاش كبري زاده، القاهرة ١٩٦٨ م.
٦٢ ـ المفصل في تاريخ النحو العربي، د. محمد خير الحلواني، بيروت ١٣٩٩ هـ.
٦٣ ـ المقدمة، ابن خلدون، بيروت ط دار القلم مصورة عن ط القاهرة.
٦٤ ـ من تاريخ النحو، أ. سعيد الأفغاني، بيروت: ط دار الفكر.
٦٥ ـ الموشح، المرزباني، القاهرة ١٩٦٥ م.
٦٦ ـ الموضح، نصر بن علي، مصورة مكتبة جامعة الملك عبد العزيز بجدة.
٦٧ ـ نشأة النحو العربي، أ. مصطفى السقا، مجلة جامعة الملك سعود ـ العدد الأول ـ الرياض.
٦٨ ـ نشأة النحو، ش. محمد الطنطاوي، القاهرة ١٣٩٣ هـ ط ٥.
٦٩ ـ النحو العربي، د. مازن المبارك، دار الفكر ١٣٩٣ هـ ط ٣.
٧٠ ـ نزهة الألباء، ابن الأنباري، القاهرة.
٧١ ـ نور القبس، أبو المحاسن اليغموري، بيروت ١٣٨٤ هـ.
٧٢ ـ وفيات الأعيان، ابن خلكان، القاهرة ١٩٤٨ م.



الفهرست

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

من أعمال المؤلف المنشورة

ـ تأليفاً:

١ ـ مختصر النحو ـ جدة: دار الشروق ١٤٠٤ هـ ط ٩.

٢ ـ مختصر الصرف ـ بيروت: دار القلم.

٣ ـ تلخيص العروض ـ جدة: دار البيان العربي ١٤٠٣ هـ ط ١.

٤ ـ تلخيص البلاغة ـ بيروت: دار الكتاب الدسلالي.

٥ ـ في علم العروض: نقد واقتراح ـ الطائف: نادي الطائف الأدبي ١٣٩٩ هـ ط ١.

٦ ـ القراءات القرآنية: تاريخ وتعريف ـ بيروت: دار القلم ١٩٨٠ ط ٢.

٧ ـ اللامات: دراسة نحوية في ضوء القراءات القرآنية ـ بيروت: دار القلم ١٩٨٠ ط ١.

٨ ـ تحقيق التراث ـ جدة: مكتبة العلم ١٤٠٢ هـ ط ١.

٩ ـ دراسات في الفعل ـ بيروت: دار القلم ١٤٠٢ هـ ط ١.

١٠ ـ دراسات في الإعراب ـ جدة: تهامة ١٤٠٤ هـ ط ١.

ـ تحقيقاً:

١ ـ البصروية في علم العربية للبصروي ـ الرباط: مجلة اللسان العربي، المجلد الخامس عشر، الجزء الاول.

٢ ـ اتحاف الانس في العلمين واسم الجنس للامير الكبير ـ جدة: جريدة المدينة، صفحة التراث، العدد ٤٨٠٧ في ٢٩ صفر ١٤٠٠ هـ.

٣ ـ رسالة في اعراب الفاتحة للجنزي ـ جدة: جريدة المدينة، صفحة التراث، العدد ٤٩٢١ في ١٥ رجب ١٤٠٠ هـ.

٤ ـ الناسخ والمسنوخ لابن العتائقي ـ بيروت: م الاسلامية ١٤٠٢ هـ ط ٢ .

٥ ـ بداية الهداية للويمي ـ بيروت: من الإسلامية ١٤٠٢ هـ ط ١ .

٦ ـ شرح الواضحة في تجويد الفاتحة لابن قاسم المرادي ـ بيروت: دار القلم.